www.ibtesamah.com/vb

أغلال الخطيئة

جورج سيمنون

مجلة الابتسامة

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

روايات الهلال ٨ قروش روائع القصص العالمى

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١٢٠ * ديسمبر ١٩٥٨ * جمادى الثانى ١٣٧٨

No. 120 — Décembre 1958

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٨٠ مليما — فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ١٠٠ قرش سورى — فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى — فى الاردن ١٠٠ فلس — فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) — مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا — سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا — السعودية والعراق والاردن وليبيا بالبريد البحرى ١١٠ قروش صاغ — الاميركتين ٥ دولارات — سائر أنحاء العالم ١٠٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى اقليم مصر : بموجب أذونات أو حوالات بريدية أو شيكات — **فى السودان :** بموجب حولات بريدية أو شيكات **فى الخارج :** بموجب حوالة نقديه (Money Order) او حوالة مصرفية ا شيك على احد بنوك القاهرة — وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال أو الى احد وكلائنا — ولا يمكن قبول اذونات البريد

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك — القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العموميه — مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

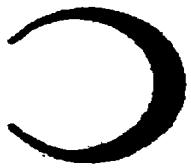

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

أغلال الخطيئة

تأليف

جورج سيمنون

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

مؤلف الرواية

هو الكاتب البلجيكى المولد ، الفرنسى اللسان والقلم ، الامريكى المهجر ، العالمى الوطن ، جورج سيمنون ...

قال عنه اندريه جيد ـ وهو الاديب المدقق والثقة المتحرج ـ انه ربما كان أعظم الادباء المعاصرين الذين يكتبون باللغة الفرنسية

وقال عنه سومرست موم ، انه وصاحبه الانجليزى جراهام جرين ، أعظم روائيين فى هذا الزمان ، من الجيل التالى لجيل موم الشيخ ... وسماه « بلزاك هذا العصر »

وناهيك برجل يناهز الخمسين ، وله من الروايات الطوال أكثر من اربعمائة !

وناهيك بمؤلف يكتب الرواية البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون ، ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية فكأنك تعيش مع اشخاصها فى حرارة وصدق ، ويكتب الرواية النفسية التحليلية فاذا بك تتغلغل الى داخل نفوس أبطاله ، وتعرفهم من سرائرهم الغامضة ، وتشغل بهم كأن العالم خلا الا من هؤلاء الابطال الخياليين !

وهو الآن شغل النقاد الشاغل ، لهذا التعدد فى نواحى انتاجه ، تعددا يكاد يوحى بازدواج الشخصية ، فلا يتهمه أحدهم بسبب رواية بوليسية بالسوقية والاسفاف ، حتى يجد له رواية من الادب الرفيع الممتاز ...

انه اشبه فى انتاجه بالطبيعة : فيها الوهاد السحيقة ، وفيها القمم الشامخة . وفى الحالين تتبدى قدرة الابداع والخلق لكل من القى السمع وهو شهيد ..!

ومن أعظم رواياته العالمية التى رشحوه من أجلها لنيل جائزة نوبل العالمية :

- اغلال الخطيئة

www.ibtesamah.com/vb

- الثلج الاسود
- فتاة فى ماضيه
- سآخذ هذه المراة

ورواية اغلال الخطيئة هى التى نقدمها اليوم لقراء العربيـــة ، وعنوانها فى الاصلّ الفرنسى : « الايام الاربعة فى حياة مسكين »

Les quatre jours du pauvre homme

وقد آثرنا لها العنوان الذى نشرناها به ، لملاءمته لمفهوم الرواية فى الذوق العربى ...

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بأن هذه اول مرة يترجم فيها الى العربية رواية من تأليف جورج سيمنون ، أعظم روائى بين المعاصرين ...

www.ibtesamah.com/vb

أشخاص الرواية

- **فرانسوا لكوان** François Lecoin
  رجل فى الثامنة والثلاثين ، مهذب ، حساس ، فاشل فى حيـــاته ، له بنت مصـــدورة وغلام فى الثامنة
- **بوب** Bob
  ابن لفرانسوا لـكوان
- **اوديل** Odile
  بنته المصدورة
- **جيرمين** Germaine
  زوجته المريضة بالسرطان
- **الآنسة ترودل** Trudel
  مريضة فى المستشفى معها
- **رأوول** Raoul
  أخوه الاكبر المهاجر الى افريقا
- **مارسيل** Marcel
  أخوه المحامى الثرى
- **رينيه** Renée
  زوجة مارسيل
- **جانيني** Gianini
  تاجر ثرى ايطالى الاصل مرشح فى انتخابات البلدية
- **برت** Berthe
  آنسة تعمل سكرتيرة فى المجلة
- **شارتييه** Chartier
  أفاق ونصاب محترف
- **بوسو** Boussou
  صحفى مرتزق بدين لا ذمة له
- **بييبيف** Piedbœuf
  مفتش بوليس سابق
- **فيفيان** Vivianne
  فتاة من بنات الهوى المحترفات

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

الجزء الأول

يومان في شارع دبلامير

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

فى المستشفى

دارت عيناها بصورة غامضة لا تستقران على شيء ، فوق الجدران الناصعة البياض والسقف . ثم سألت بصوت باهت النغمة ، كأنها تتلو سطرا من قطعة محفوظات :

ـ هلْ السيد ماجان لم يزلْ راضيا عن عملك ؟

ولم يكن من وجهت اليه السؤالُ يتوقع سماعه منها عندئذ ، أو لعل الاوفق أن نقول ان السؤال استغرق بعض الوقت الى أن تغلغل متسربا الى وعيه . ذلك ان عقله كان فى شبه غيبوبة . فمع انه كان جالسا معها فى المستشفى . الا انه كان دائما أو غالبا على حذر . فما أن يهوم لحظة من الوقت ، أو تأخذه سهوة حتى يكتشف فى كلامها فخا من فخاخها المعهودة ، ولهذا تأنى قبلَ ان يجيبها :

ـ ان السيد ما جان لم يتح له أن يبلغنى رضاه أو عدم رضاه عن عملى ، لانه غائب عن المدينة

ولم يكن لموضوع السؤال فى حد ذاته ادنى قيمة . ولكن الحذر من جانبه ، والاستدراج من جانبها ، كانا عملا آليا مألوفا . فانها وهى تجود بآخر انفاسها ستظلّ الى النهاية مثابرة على استدراجه

ـ عفوك يافرانسوا ! لقد نسيت انه رحلَ الى الكوت دازير

ولم يكن هذا صحيحا ، انها كذبت ، فهى لم يسبق لها أن نسيت شيئا على الاطلاق ، ولا سيما هنا فى المستشفى ، اجلْ انها ربما رأت فيما مضى وهى تجتاز شارع الثلاجة لافتة فوقَ حانوت ، مكتوب عليها : اوسكار ماجان . تجارة كراس

وقفز هذا الاسم الى رأسه عندما سألته هل عثر على عملْ ، وكان من دأبه أن يمزج شيئا من الحقيقة بأكاذيبه ، ويجعل هذه الحقيقة ضمن التفاصيلَ الفرعية ، وكان قديرا على اختيار الاسماء غير المألوفة ، لانها فيما يلوح له أكثر اقناعا بواقعية أصحابها

وربما كانت تعلم انه كذب عليها ، بيد انها كعادتها لا تصارحه

www.ibtesamah.com/vb

بذلك ، وتظل صامتة أسابيع ، وشهورا ، وربما سنوات ، الى أن تنفض كل شيء مما كتمته فى صدرها مع طوفان من الدموع ، ولكن الآن ، نظرا لحالتها ، كان من المحتمل جدا ان ما بصدرها لن يجد الفرصة للافاضة أو الافصاح

وكان هو مصغيا باستمرار يتسقط صوت الناقوس الذى يؤذن بانتهاء الزيارة ، وكان فراش جيرمين هو اول فراش من جهة الباب ، وكان الباب مفتوحا فى هذه الساعة ، فاذا مال الى الامام قليلا استطاع أن يرى الساعة المثبتة فى نهاية الدهليز ، وكانت تشير الى الثامنة الا سبع دقائق

وكانت حجرة جيرمين رقم ١٥ ، وهى عنبر صغير به ستة أسرة ، والسرير الملاصق للحائط ، الذى كان مشغولا يوم الاحد السابق ، صار الآن خاليا . فلما دخل هذا اليوم ، نظرت جيرمين الى ذلك الفراش الخالى نظرة ذات مغزى فأدرك ما تعنيه . وأومأت اليه أن ينحنى فوقها حتى يتسنى لها أن تهمس فى اذنه :

ـ يجب ان تتحدث قليلا الى الآنسة ترودل ، فما من أحد يحضر لزيارتها ، وهى لطيفة للغاية معى ، فاجتهد فى المرة القادمة أن تتذكر احضار شيء تتحفها به ، برتقالات أو حلوى

وحول السرير الثالث فى الحجرة جلس رجل وامراة فى ثياب الحداد ، وقد أمسك كل منهما باحدى يدى المريضة التى منعها اشتداد المرض من الكلام

وسمع جيرمين تقول له :

ـ لا تقلق على يا فرانسوا ، فأنا هادئة كل الهدوء ، واسأل الآنسة ترودل ، وعلى كل حال أنا تحملت فى مدى هذا العام ست جراحات وسترى ان كل شيء سيغدو على ما يرام ، وغدا فى الساعة العاشرة سوف يأخذوننى لاجراء الجراحة السابعة ، وسأعود الى هذا الفراش عند الظهر ، فلا أظنهم سيجدون بداخلى بقية تذكر كى يستأصلوها هذه المرة

واتاه صوتها من خلال غيبوبته التى تشبه ستارا من الضباب ، فقد سمع هذا الحديث بحذافيره فى كل مرة تقريبا ، وسمعها تستطرد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ المهم راحتك انت يافرانسوا ، وعسى أن تكون الخادمة قائمة على الاقل برعايتك كما ينبغى

وكانت طبعا غير مصدقة مسألة الخادمة ، ولعلها أرادت أن تترك أثرا حميدا بهذه الكلمة فى نفس الآنسة ترودل . أو لعلها كانت تتعجل مثله رنين جرس انصراف الزوار

انهما يعيشان فى عالمين منفصلين ، ومع هذا لم يفته فى مدى احد عشر شهرا يوما واحدا من أيام الزيارة فى المستشفى ، ففى مساء الخميس يأتى بمفرده ، وفى عصر الاحد يأتى مع ابنه ، وكانت زيارة يوم الاحد تستغرق ساعتين

وكان من المحتمل جدا ان حالتها لا تتحمل الجراحة السابعة ، وكان الاطباء فى بداية الامر يحاولون التهوين على فرانسوا ، وتفسير الجراحات المتتالية ، وكان فرانسوا يضيق بسماع قائمة الاعضاء التى ينتوون استئصالها من جسمها فى كل مرة ، أما فى المدة الاخيرة فلم يجشموا انفسهم عناء الشرح والتفسير ، لان المسألة اصبحت شديدة التعقيد وتفسيراتها عسيرة ، فلا بد انهم باتوا بمضى المدة يعتبرونها ملكا للمستشفى بصفة خالصة ، ومن يدرى ؟ لعلها الآن تقوم بدور فيران التجارب ، التى يجرون عليها تجاربهم الطبية

ولقد كان مقدرا لها أن تموت فى هذه المرة ، فمن الخير لها أن تموت وهى تحت تأثير المخدر

وسمعها من خلال غيبوبته الذهنية تقول له :

ـ اتصل تليفونيا وقت الظهر لتعرف نتيجة الجراحة ، اطلب كبيرة الممرضات

ـ بل سأكون هنا

ـ ولماذا تأتى يافرنسوا ؟ انك لم تلتحق بعملك الجديد الا منذ مدة وجيزة جدا ، فلن يترك غيابك فى نفس السيد ماجان اثرا حميدا ، وهو لا ذنب له فى خصوصياتك

ولكنه أصر على الحضور بأى شكل ليكون كالعادة فى بهو المدخل بالقرب من مكتب الاستعلامات ، كشأنه فى كل يوم اجريت لها فيه جراحة ، لابد من ذلك

ـ قبل لى بوب قبلة كبيرة

www.ibtesamah.com/vb

ـ يصل

ـ خذ بالك وأنت تعبر الشوارع ، انك على الدوام شارد الذهن ، انت لا تدرين يا آنسة ترودل الى اى حد هو شارد الذهن !

وأوشكت هذه الزيارة أن تنتهى ، فأخذ يتأرجح قليلا على قدميه لانه كان يقضى وقت الزيارة كله واقفا ، وقد أمسك قبعته بيديه أمامه كما يفعل حين يذهب الى الكنيسة ، وكانت تقول له فى كل مرة العبارة بعينها :

ـ لماذا لا تضع قبعتك على السرير ؟

وكان يرفض أن يضع قبعته على السرير ، لان أحدهم قال له ذات مرة ان هذا مجلبة للنحس والشؤم ، ولم يكن بطبعه متطيرا ، بيد ان خوفه كان شيئا آليا بحكم جو المستشفى

ورن أول جرس بين أروقة المستشفى انذارا للزوار انه لم يعد أمامهم سوى خمس دقائق ، واستحثته جيرمين على الانصراف :

ـ من الخير أن تذهب الآن يافرانسوا ، فأنت تعلم جيدا ان المرضات يكرهن من الناس أن يمكثوا الى آخر دقيقة

وشعر كل منهما بالارتياح

ولما انحنى فوقها ليودعها ، كان عليه أن يحاذر من شىء اخير ! الا يدعها تشم رائحة انفاسه

ـ وكان قد اقسم لها انه لم يعد يحتسى قطرة واحدة من الخمر، ولكن ما فائدة بره بيمينه ما دامت هى لا تصدقه مهما كانت الاحوال ؟

ـ والآن يافرانسوا لا تقلق على !

وتذكر وهو منصرف أن يمنح الآنسة ترودل ابتسامة يسيرة

وما ان صار فى الدهليز الخارجى حتى غالب نفسه كى يمشى بخطوات بطيئة ، حتى لا يبدو انه هارب من واجب ثقيل على نفسه ، ولم تكن روائح المستشفى تسبب له ضيقا ، لانه الفها ، كما الف كل هاتيك النساء المريضات فى تلك الحجرات كلها ، على تلك الاسرة التى لا آخر لها

وكان دائما وهو خارج يتساءل : هل باب الحجرة رقم ٢٧ مفتوح فى هذه الساعة ؟ انها مسألة حظ ، فهو يعرف كيف يمشى فى

www.ibtesamah.com/vb

الدهليز بحيث يكون فى الزاوية الملائمة للرؤية

والحجرة رقم ٢٧ حجرة خاصـــة ، بها على الدوام أزهار كثيرة ناضرة ، وفوق مصباحها عاكس للضوء قرمزى اللون ، وقد عرف من طول تردده على المستشفى طوال هذه السنة ان كثيرات من النساء المريضات لم تعد تعنيهن مسألة الحياء ، ولـكن ساكنة الحجرة رقم ٢٧ لم تكن مريضة بالضبط ، كل ما هناك ان احدى ساقيها فى جبيرة من الجص ، تصل الى فخذها وقد رفعت ساقها فى الهواء بطريقـــة خاصة أعدها لها الطبيب ، وهى فتاة ، أو لعلها امرأة صغيرة السن جدا ، ذهبية الشعر ، ذات بشرة ناصعة البياض ، وهى تقضى كل وقتها فى مطالعة المجلات وتدخين السجائر ، ولم يتح له اطلاقا ان يرى وجهها لانه مختف دائما وراء مجلة

وكانت هذه الغادة قد تعودت فى أوقات الحر الشديد ان تطرح الاغطية كلها ، وتثنى رجلها السليمة ، فيتاح لفرانســـوا ان يرى ما كان ينبغى أن يستر عن العيون من مفاتن جسدها

واتيح لفرنسوا وهو خارج اليوم ان يرى هذا المنظر المثير ، واحمر وجهه عند ما لمحته احدى الممرضات فالتفتت لتتابع اتجاه نظرته !

واخيرا وجد نفسه مرة أخرى فى الشارع ، ولم تكن ظلمة المساء قد غشيته تمام الغشيان ، فهناك فلول من أشعة الشمس الغـــاربة تتلـكأ على الطبقات العليا من البيوت ، وفى الشارع كان الهواء كثيفا ضاربا الى الزرقة ، فاتجه الى حانة صغيرة مواجهـــة للمستشفى واحتسى شرابا ، وكانت هذه الحانة تبيع مع الخمر الفحم والخشب للتدفئة ، شأن جميع الحانات التى يديرها أهل الاوفرنى

ـــ كأسا من كالفادوس !

فقد مضى وقت طويل منذ أقلع عن ايلام نفسه والانحاء عليهـــا باللوم ، وكان من عادته أن يشرب الـكونياك ، ثم اكتشف ان تأثير الـكالفادوس أسرع ، فهو بالتالى ارخص فى نهاية المطاف

واحتفظ الخمار بالزجاجة فى يده وصب منها كأسا ثانية ، فى حين راح فرانسوا لـكوان يفتش فى جيبه على النقود ، والنقود أصبحت مسألة حساسة عند فرانسوا ، وتعقدت بسببها حيـــاته فى المدة الاخيرة ، فان الخمر صارت ضرورية بالنسبة له

www.ibtesamah.com/vb

انه فى الصباح يمكن أن يكتفى بكأسين : أولاهما بمجرد خروجه من البيت ، ودورانه من شارع دلامير الى شارع السرور ، وهى كأس ضرورية وعاجلة فى هذا الوقت ، بدونها يشعر بالخواء ، وبالدوار ، وبالرغبة فى الانتحار والتخلص من الدنيا بأسرها

ويسير بعد تلك الكأس الاولى على غير هدى ضاربا فى الطرقات فهذا دأبه منذ تعطل عن العمل ، يروح ويجيء فى المكان الواحد مرارا وتكرارا بلا ملل ، وفى منتصف الساعة الثانية يذهب الى ادارات الصحف ليطالع فى لوحاتها الخارجية الصحف مجانا ، ولا سيما باب طلب موظفين ومستخدمين فى الاعلانات المبوبة

والواقع ان مطالعة هذه الاعلانات أمست عادة مستقرة بغير معنى حقيقى تقريبا ، لم يعد يتعجل شيئا ، لانه يعرف ...

▭

ان له زهاء اثنا عشر عاما يعيش فى مونبرناس ، منها تسع سنوات فى مسكنه هذا بشارع دلامير ، أما مسقط رأسه فلا يبعد كثيرا عن هذا الحى ، لانه ولد فى شارع سيفر

وفى هذه اللحظة كان كثير من الناس واقفين على عتبات الابواب ، وآلات الاذاعة دائرة خلف جميع النوافذ التى كانت تطل من بعضها اضواء الكهرباء ، ولم يكن من عادته اطلاقا أن ينحرف يمينا الى جهة المقابر ، وكان هذا بدافع من التشاؤم ، ولانه كان يؤثر أن يندمج فى الناس فى شارع السرور ، ففى هذا الشارع بدأت منذ الآن اللافتات الكهربائية الملونة تبعث أنوارها الزاهية ، وفى ركن ذلك الشارع حانة صغيرة ، وبجوار التليفون فيها مائدة صغيرة كان يشعر انها ملكه الخاص تقريبا ، واستقر فوق المائدة وأسند ظهره الى الحائط الاخضر الباهت وصاح يطلب كأسه من الكلفادوس

وعبر الشارع أخذت الجماهير تتدفق داخلة الى السينما ، وكان الناس يمرون به وهم يلعقون قراطيس الجيلاتى ، والافريز فى هذا الشارع ضيق ، ولهذا كان فى مقدوره أن يتبين وجوه ركاب السيارات العامة التى تمر فى الشارع ، وكان الجو حارا جدا ، والغبار الساخن عالق بالهواء ، ينفذ مع الانفاس الى الحلوق والخياشيم

ولم يجدها هناك ، بل وجد اثنتين أخريين ، تلك المرأة الضخمة

www.ibtesamah.com/vb

الشقراء التى كان يسميها الجاويش ، ثم تلك الخادم الضئيلة التى كانت تجهلُ كيف تضع مساحيق التجميلُ على وجهها

ورآهما تذرعان الرصيف بخطوات منتظمة مثلَ بندول الساعة ذهابا وإيابا ، كلٌ منهما من جهتها ، بحيث تلتقيان فى أوقات منتظمة فى رتابتها ، وحقيبتيهما تتأرجحان من كتفيهما ، وعندما تلتقيان تتبادلان نظرة تفاهم وحسرة على نفسيهما ، وكانت الفتاة التى تبدو كخادمات المنازل تعانى من ارتداء الكعب العالى الذى لم تألفه فى حياتها بعد

ولعلٌ الفتاة الثالثة التى افتقدها اليوم مشغولة مع أحد العملاء فى ذلك الفندق الحقير القائم فى نهاية الشارع ، وقد سره كثيرا أن يراها تعدو بعد قليلٌ مشرقة الوجه هادئة ، ثم تدخلُ الحانة وتلقى عليه تحية صامتة وهو قابع فى ركنه قبلَ أن تتكىء فوقَ البار وتطلب من الخمار بوبول شراب النعناع المثلج

وشاهد الخادمة تتحدث الى رجلٌ فىَ ركن من أركان الشارع ، فصاح :

ـ كأسا أخرى من الكالفادوس !

ولمَ يكن مخمورا تماما ، فانه لم يصلٌ اطلاقا الى ذلك الحد ، بلَ كان يتحكم فى نفسه فى اللحظة الاخيرة ، وكلٌ مراده من الشراب أن يحصلٌ على مخيلة مرنة تمكنه من تصور الناس والاشياء على هواه

أما الآن وهو ينظر من النافذة ببلاده ، ويرفع كأسه الى شفتيه ، فقد شعر بضيق فى حلقه ، لأنه لمح فتى يقف على الرصيف ويلصق وجهه بزجاج النافذة ، وكان هذا الفتى ابنه ، فنهض وأوشك أن ينسى دفع حسابه بسبب لهفته ، وقبضَ على كتف ابنه بحركة لا ارادية من القلق والحنان ، وسمع ابنه يقول :

ـ هناك شخص ينتظرك فى البيت

ـ من هو ؟

ـ لم يخبرنى باسمه ، حضر منذ نصف ساعة وسألنى هلٌ انا ابنك ؟

ـ ولماذا لم تمكث معه لحين حضورى ؟

ـ لا أدرى ، كنت خائفا

www.ibtesamah.com/vb

وكان هناك سؤال اخطر من ذلك كله بكثير ، كان فرانسوا لكوان متلهفا اشد اللهفة على طرحه ، لولا انه لم يجسر على ذلك

ولم يكن البيت يبعد أكثر من مائة خطوة ، ومع هذا لم يذهب فرانسوا الى بار بوبول فى النهار اطلاقا ، وفى الساعة الثامنة مساء من المفروض أن يكون بوب الصغير فى فراشه ، وعندما يعود فرانسوا الى البيت يتظاهر بوب دائما بالنوم حينما يهم ابوه بتقبيله

ـ واخيرا سأل ابنه

ـ ما شكله ؟

ـ ضخم للغاية ، يكاد يخلو رأسه من الشعر تماما ، وطريقة كلامه مضحكة

ـ وماذا يفعل فى البيت ؟ هل تركته وحده ؟

ـ قلت له انى ذاهب للبحث عنك ، وتركته جالسا فى مقعدك الكبير ، وقد سألنى ان كان فى البيت شىء يشربه ؟ ثم أعطانى نقودا لابتاع له زجاجة كونياك

ـ وهل اشتريتها له ؟

فرفع بوب يده الى ابيه وبها ورقة مالية ، وحث الاثنان الخطو ، واشتريا فى طريقهما زجاجة الكونياك من محل للبقالة

ـ أانت واثق يا بوب انك لم تره من قبل ؟

ـ كل الثقة

وشعر فرانسوا بسبب وجود هذا الزائر الغريب ان الشارع اقل الفة لديه وان السائرين فيه يلفهم جو من الغموض

ـ كيف ...؟

ولكن كلا ! ان هذا هو السؤال الذى ينبغى الا ينطق به ، أليس من الغريب ان الفتى خطر له أن يذهب الى هذه الحانة ليبحث عنه ؟ هل معنى ذلك انه يعرف ؟

وعند مروره بالبوابة رآها تقشر البسلة ، وبجوارها وعاء من الماء ، فقرأ عليها التحية وهو واثق انها لن تجيب ، بل ستقطب وجهها لانه مدين لها بايجار ستة أشهر

ولم يكن فى البيت مصعد ، ولكن السلالم نظيفة ومفروشة ببساط أحمر اللون مثبت بقضبان من النحاس الاصفر

www.ibtesamah.com/vb

وصـــعد ثلاثة طوابق ، وكان بابه الى اليمين ، فشرع يبحث عن مفتاحه ، ثم لاحظ ان الباب غير مغلق تماما ، فدفعه ودخل وعلق قبعته كالعادة على المشجب ، ثم اتجه الى قاعة الطعام فرأى عينين حولاوين بارزتين تحملقان فيه ، وصاح صاحبهما :

ـ مرحى يافرانسوا

وكان ابنه خلفه وهو واقف بالباب حين أجاب :

ـ مساء الخير يا راؤول

ـ انك لم تتوقع حضورى ، أليس كذلك ؟ عسى ان تكون احضرت زجاجة الـكونياك ؟ واني ارى من منظر ابنـــك وهو متعلق بذيل سترتك انه خائف منى بعض الشيء

فالتفت فرانسوا الى ابنه وقال على مضض :

ـ هذا عمك يا يوب

ـ اى عم ؟

ـ اخى راؤول ، المهاجر فى افريقا

ـ آه !

ـ يبدو ان الفتى غير مسرور للتعرف بى

ـ انها الوهلة الاولى ، ويجب ان يذهب الى فراشه ، كان ينبغى فى الواقع ان يكون نائما منذ وقت طويل ، الم يكن فى الفراش عندما حضرت انت ؟

فقال الطفل :

ـ كنت اخلع ثيابى عندما حضر

ـ اذن اذهب الآن الى فراشك

ـ سمعا يا ابى وطاعة ، هل ستأتى لتقبلنى قبلة المساء ؟

فصاح العم مازحا :

ـ وانا ؟ أليس لى نصيب ؟

ـ طابت ليلتك ياسيدى

ـ طابت ليلتك يابنى ؟

ـ طابت ليلتك يا عمى راؤول

وترك الفتى باب حجرة النوم مفتوحا ، فأغلقه أبوه واصبح الرجلان فى خلوة ، وكان المـكتب القائم بين النافذتين مفتوحا والاوراق التى

www.ibtesamah.com/vb

به مبعثرة فوق مائدة الطعام ، وقال راؤول من غير أن يتحرك

ـ ماذا لو بدأنا بتناول كأس ؟

وكان قد خلع رباط عنقه وسترته ، وياقته وكشف طوق قميصه عن صدره الضخم العضلات ، الذى تغطى عضلاته طبقة من الشحم تزيد من هول منظره ، وانتقلت نظرات فرانسوا بين الاوراق المبعثرة والمكتب المفتوح ، فقال أخوه الاكبر :

ـ اراك فى ضيق ، هذا مفهوم من أول وهلة من غير حاجة الى سؤال

ولم يجب فرانسوا ، بل خطر له شيء لم يخطر بباله من قبل ، أن أخاه لابد أن يكون الآن فى السابعة والاربعين ، أما هو فلم يزل فى السادسة والثلاثين ، اى ان بينهما فرقا مقداره عشر سنوات أو أكثر ، وتحرك فرانسوا صوب البوفيه فأخرج منه كأسين : وبحث عن البريمة ذات المقبض العاجى ، ثم قال :

ـ لم اكن أعرف انك عدت الى فرنسا

ـ بل لم تكن تعرف أين أنا ، وليس لهذا اهمية ، فقد وصلت الى باريس فى الساعة السادسة ، وتركت حقائبى فى الجانب الآخر من الشارع فى فندق رين ، ثم تذكرت عنوانك ، وتساءلت هل تراك غيرته ، خبرنى ! هل ماتت زوجتك ؟

ـ بل فى المستشفى ، انى قادم من هناك

ـ هلّ ستموت ؟

ـ لا أدرى

ـ كم عمر ابنك ؟

ـ بلغ التاسعة فى الشهر الماضى

ـ لماذا تناديه باسم بوبى ؟ انى أذكر انك سميته عند مولده باسم جيلّ

وكان هذا حقا ، لان جيل هو اسم والد فرانسوا ، ولهذا اصر عند ولادته أن يسميه به ، ولكن العادة جرت على مناداته باسم بوب ، وصب فرانسوا الكأسين

ـ فى صحتك

ـ فى صحتك

www.ibtesamah.com/vb

وتجرع راؤول كأسه دفعة واحدة ثم نهض على قدميه وتناول الزجاجة وصب منها لنفسه كأسا أخرى

ـ لا أحسبك مسرورا للغاية بحضورى ، اليس كذلك ؟

وكانت ابتسامته كالحة ، وأغرب ما فيه صوته الاجش الغريب النبرة ، ولم ينتظر جوابا ، بل استطرد وهو يشير بذقنه الى الاوراق المبعثرة :

ـ وهل تأتى هذه الرسائل بفائدة تذكر ؟

وكانت الاوراق عبارة عن مسودات لعشرات من الرسائل لم يستطع فرانسوا أن يحمل نفسه على القائها فى صندوق البريد ، وقطع عليه حبل أفكاره صوت بوب يناديه من ظلام الحجرة الاخرى فذهب اليه

ـ انى لا أحبه ، أتحبه انت ؟

قالها الطفل بصوت مرتعد عندما مال والده فوقه ليقبله ، فربت عليه أبوه ولم يقل شيئا ثم عاد الى حجرة المائدة . فاذا أخوه يسأله :

ـ متى بدأت هذا الاتجاه ؟

ـ لا أذكر

ـ وهلّ استجاب مارسيل ؟

وكان مارسيلّ شقيقهما ، قد احترف المحاماة وأصبح الآن مستشارا قانونيا لجملة شركات وعضوا فى البلدية

ولم يجب فرانسوا على سؤال أخيه ، الا بعد فترة صمت طويلة :

ـ انى أتبادل معه الرسائلّ بين الحين والحين ، اسمع يا راؤول

ـ بلّ اسمع أنت

والتقط الاخ الاكبر احدى الرسائلّ وأخذ يطالعها :

ـ صديقى العزيزّ ...

ـ راؤول !

ـ انك ستدهش ولا شك اذ تتلقى منى خطابا بعد هذه السنوات الطويلة ، ولك أن تصدق أو لا تصدق انى لم أستطع أن أنسى تلك الايام الحلوة التى قضيناها معا فى المدرسة ...

ـ ليس بهذا الصوت المرتفع على الاقلّ يا راؤول !

ونظر فرانسوا بفزع الى باب حجرة ابنه

www.ibtesamah.com/vb

ـ ان ابنك يعتقد فيما أظن انك رجل عظيم !
ـ من فضلك يا راؤول
واستأنف الاخ الاكبر المطالعة بغير رحمة :
ـ ولما كنت فى ظروف مادية عصيبة تحف بى من كل جانب ، فقد اقدمت بعد طول التردد على الالتجاء اليك . . . جميلة هذه العبارة : « تحف بى من كل جانب » انه نفس اسلوب أمنا المتحذلق الذى ورثه عنها مارسيل
ـ لا تسخر بى ، انى على الاقل مستقيم ، اما مارسيل فملتو
ـ لا بأس ، انى ارى اشارة تحت المسودة « دفع مائة فرنك »
ـ ابنى من فضلك يا راؤول يمكن أن يسمع
ـ ابنك ؟ وماذا لو سمع انك شحاذ محترف ؟ وبهذه المناسبة ماذا حدث لحماتك ؟ كنت أظنها تعيش معك
ـ انها ماتت
ـ أحسن !
ـ هل ثملت ؟
ـ ليس أكثر من المعتاد ، ليس اكثر من جدنا راس سلالة السكيرين المتسولين ، لكوان الكبير ، أو جدنا الآخر السكير العريق والد أمنا ، ناى الكبير ، انت ابن حلال وانا كذلك ، ورثنا السكر عن جدينا
ـ الافضل أن تعطينى هذه الزجاجة
ـ كلا . . .
ـ هل ذهبت لمقابلة مارسيل ؟
ـ كلا . . .
ـ الا تنوى أن تذهب لمقابلته ؟
ـ لا ادرى . .!
ـ هل ستمكث فى فرنسا طويلا ؟
ـ ربما الى الابد
ـ ظننتك متزوجا
ـ تزوجت مرتين ، ولا بد أن زوجتى الثانية فى مكان ما بفرنسا الآن مع ابنتى

www.ibtesamah.com/vb

ـ الا تعرف عنوانها ؟

ـ مسألة لا تعنيني ، كدت أموت منذ ثلاثة أشهر بالحمى الاستوائية فقررت العودة

ـ لابد انك غنى الآن ؟

ـ لا تفكر ولا تطمع أن أرد على شيء من رسائلك اياها !

ـ من فضلك يا راؤول !

ـ انها جيدة الاسلوب وتستحق عناء القراءة

ـ انى أقسم لك يا راؤول ان المسألة ليست كما تعتقد ، فالواقع ان سوء الحظ حالفنى بصورة غريبة ، وظلت زوجتى مريضة اكثر من سنة ، بل الحقيقة انها كانت مضعضعة الصحة فى السنوات الاربع الاخيرة ، ولم نكن ندرى حقيقة مرضها ، وكان على أن أقوم بأعمال البيت عندما أعود فى المساء ، ثم هناك ابنتى ...

ـ ألك ابنة أيضا ؟

ـ اسمها اوديل ، وهى فى السادسة من عمرها ، وكان لابد من ارسالها الى منطقة جبلية لضعف رئتيها ، وهى تقيم الآن مع اسرة ريفية فى اقليم سافواه

ـ ولعلك لم تدفع أجر اقامتها منذ عدة شهور ؟

ـ من أين عرفت ؟ وهناك أيضا المستشفى ، ولا بد من دفع نفقات العلاج لأننا لسنا معدمين ، ولحسن الحظ ان جيرمين تملك بيتا صغيرا ورثته عن أهلها

ـ ولماذا لم تبعه ؟

ـ لان القيمة التى عرضت علينا لا تكفى لسداد قيمة الرهن ، وهذا البيت للأسف يجعلنا فى نظر المستشفى فى عداد الملاك ؟

ـ وكيف فقدت وظيفتك ؟ أليس بسبب الخمر ؟

ـ بلى لان صاحب العمل تقاعد وصفى المؤسسة ، انه سوء حظى الذى يلاحقنى

ـ كلا ، ليس هذا هو السبب يافرانسوا ، املأ كأسك

ـ كلا

ـ املأ كأسك ، فانى أكره ان اشرب وحدى ، هل تعشيت ؟

ـ انى أتعشى دائما مع بوب قبل ان أتوجه الى المستشفى

www.ibtesamah.com/vb

ـ واظنك انت الذى تقوم بالطهو ؟ ومن الذى يغسل الاطباق وما الى ذلك ؟

ـ كانت البوابة تفعل ذلك فى أول الامر ، ولكنها الآن ...

ـ فهمت ، لابد انك متأخر فى دفع الايجار ، لابأس اشرب أيها الفتى ولا تفكر فى الغد ، تذكر أن جدك لأمك كان يسكر ويسكر الى أن يقف ويتبول فى وسط الطريق العام ، كن جديرا به !

فابتسم فرانسوا برغمه وملأ كأسه

ـ وتذكر ايضا ان خالتك ماتت فى مستشفى الامراض العقلية

ـ اواثق أنت مما تقول يا راؤول ؟

ـ طبعا واثق ، ولكن المرحومة أمنا كانت تزعم دائما انها ماتت بالتهاب رئوى ، وكانت تكابر فى حقيقة المرض الذى مات به جدنا لأبينا ، وهذا المرض اسمه الزهرى !

ـ راؤول !

ـ على رسلك ! انك تبدو لى الآن نسخة من أمنا العزيزة قدس الله روحها ! انك تشبهها تماما وخصوصا فى خشوعها ، فمن يراك حتى فى الحانة يظنك واقفا فى كنيسة

ـ أفضل أن تتركالخوض فى سيرة أمى

وقبل أن يجيب راؤول انفجر فرانسوا باكيا ، وشعر بغثيان

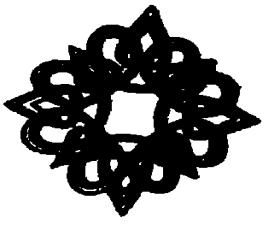

www.ibtesamah.com/vb

الحطام !

سقط شعاع الشمس على وجهه فأيقظه فى الصباح التالى ، وأدرك ان الساعة متأخرة ، كما كان مدركا وهو بعد فى غشية النعاس انه لا يمكن أن يتوقع خيرا من يقظته فى هذا اليوم

وكانت اول نظرة وجهها على اثر صحوه ، نحو فراش ابنه ، نظر الى ذلك الفراش فى شىء من الخجل ، فمنذ دخلت جيرمين المستشفى ، وابنه يشاطره حجرة نومه ، ووجد اغطية الفراش البيضاء المتناثرة وكأنها تنظر اليه نظرة عتاب ولوم ، فلا شك ان بوب استيقظ قبله ، وربما يكون قد غادر المسكن ، فانه شعر بخلو المكان ، وكانت آثار رائحة الكاكاو معلقة فى جوه ، وأطل من النافذة فوجد الساعة المعلقة فوق واجهة حانوت باشون تشير الى العاشرة الا عشر دقائق ، ومن واجهة ذلك الحانوت كانت تطل اقفاص الفاكهة والخضر الطازجة

انه فى هذه الساعة كان ينبغى ان يكون فى المستشفى ، فى بهو المدخل ، بالقرب من مكتب الاستقبال والاستعلامات ، كما وعدها بالامس ، انتظارا لنتيجة العملية ، وكان شعوره بأنه حنث بوعده مما ضاعف حرجه وضيقه وسخطه على نفسه

وعلى مائدة فى المطبخ وجد وعاء كان يحتوى على كاكاو ساخن ، ووجد قشور البيض ملقاة وبجوارها قصاصة من الورق منتزعة من كراسة مدرسية ، وفوقها بخط الغلام هذه الكلمات :

ـ ذهبت عند صديقى

وهذا يعنى انه على مسافة بيتين ، لدى سمكرى يزدحم فناؤه الخلفى بعربات اليد وقطع الخردة ، حيث يقوم بوب مع ابن ذلك السمكرى باللهو ويشيدان معا آلاف الابنية الوهمية

ولم يكن فرانسوا واثقا تماما ، ولكن يخيل اليه انه فتح عينيه قبل بزوغ الشمس ، فرأى بوب يرتدى ثيابه بهدوء ، وهو يرمق

www.ibtesamah.com/vb

فراش أبيه من ركن عينه ، ثم يغادر الحجرة والحذاء فى يديه ، فهل كلمه فرانسوا وهو فى غشية النوم ليقول له انه متوعك ؟ انه ليس متأكدا من ذلك ، وهل صدقه بوب ؟ ألم يلاحظ على أبيه انه كان عالى الغطيط ؟ ألم يفطن الى رائحة الكونياك التى تعبق جو الحجرة ؟

ان الزجاجة الكبيرة فارغة الآن ومستقرة بجوار الاقداح القذرة فى حجرة المائدة ، حيث انتشرت أيضا كمية كبيرة من أعقاب السجائر ، والواقع انه لم يكن فى حجرة المائدة شىء فى مكانه المألوف ، حتى ألبوم الصور الفوتوغرافية ذو الاركان النحاسية كان مفتوحا ومحتوياته مبعثرة بالقرب من منفضة سجائر مقلوبة !

ولم يستطع فرانسوا أن يقرر ماذا يصنع ، فالدوار مستول عليه ، كان مريضا حقا ، وفكر أن يعد لنفسه قدحا من القهوة المركزة ، ولكن بقايا البيض الصفراء فى القشر المبعثر كانت كافية لقلقلة أمعائه ، فحاول أن يقىء ، ولكن عبثا ، وحتى الماء أخفق فى شربه

والحقيقة ان الحلم الذى رآه قبل يقظته مباشرة كان لايزال يراوده ، فقد رأى نفسه فى محطة سكة حديد ، واقفا وسط زحام الناس ، يتناقش مناقشة عنيفة مع رجل يرتدى ثوبا رسميا استولى على تذكرته ، وكان ممسكا بوب بيده ، ولم يفهم لماذا كان الفتى باستمرار يحاول جذبه بعيدا ، كان ذلك سخيفا ، لانه كان يريد أن يقول لذلك الموظف الرسمى شيئا ما على جانب كبير من الاهمية، وكان الناس من حولهما ينظرون اليه هازئين ، ولم يستطع أن يدرك سبب ذلك ، الى أن فطن فى النهاية الى انه كان عارى الجسم تماما !

ولم يكن عريه عريا عاديا ، بل كان شبيها بعرى خاله ليون الذى كان يذهب لزيارته مع الاسرة حينما كان فى عمر بوب ، ونظر من ثقب المفتاح ذات يوم فوجد خاله ليون عاريا فى حجرة الخادمة ! وكان الخال ليون رجلا أحمر الشعر شديد بياض البشرة كأنه ميت وكان لون بشرة الخادمة شاحبا أيضا كشحوب الموتى ، ولم يصدق ان انسانا حيا يمكن أن يكون جسمه بهذا البياض الكالح ، وتملكه وهو صغير شعور عنيف بالغثيان والتقزز من هذا المنظر العارى ،

www.ibtesamah.com/vb

ولم يستطع بعد ذلك اليوم أن يحمل نفسه على تقبيل خاله ، بل انه لم يرفع عينيه الى وجهه بعدها اطلاقا ، وبالامس لم يستطع أن يحمل نفسه على النظر الى صورة خاله فى الالبوم ، بل قذفه من يده حانقا وهو سكران ، ولعل هذه الصورة هى التى جعلته يحلم انه عار عريا اشبه بعرى ذلك الخال ، عريا شاحبا مخزيا مقززا

انه وعد ان يذهب الى المستشفى ، ولكنه لا يجد الشجاعة على ارتداء ثيابه ، بل ولا على غسل وجهه ، فأقل حركة يهم بها يصيبه منها دوار وغثيان

وكان الصباح حارا ، والهواء شفافا ، ولكنه تحاشى ان يطل من النافذة حتى لايرى وجوه النـــاس ، وكأنما خشى أن يلاحظ عليه الجيران شيئا من الشذوذ هذا النهـــار ، حتى لقـــد هم أن يغلق النوافذ ويسدل الستائر رغم حرارة الجو

كان عطشانا ، واحس بحاجة ملحة الى كأس من الشراب ، فرفع زجاجة الكونياك الفارغة واعتصر منهـــا نقطتين اخيرتين ، وتذكر اخاه راؤول وما ينبعث منه من رائحة نفـــاذة تدل على الخشونة والحرارة ، ولم يكن حاقدا عليه ، بل كان يخشاه فقط ، ويخافه الى درجة انه كان يفزع لمجـــرد علمه انه معه فى بلد واحد ، بل وفى ذلك الفندق القريب منه عبر الشارع

لابد ان راؤول غارق فى نومه الآن وفى غرفة فى الفندق ، فراؤول انسان خلت حياته من المشكلات ، فلماذا لا ينام نوما عميقا ، انه لا يكترث لشىء ولا يحمل هما ، انه شيطان ! يعرف مواطن ضعف فرانسوا اكثر مما يعرفها فرانسوا نفسه ، مع انه لم يره منـــذ خمس عشرة سنة

لقد صارحه راؤول بين اقداح الكونياك بحقيقته :

ـ انك تنهج على منوال أبينا يا فرانسوا ؟

وكان صوته يرن فى اذنى فرانسوا مثل صوت ابيه ، فسبب له ذلك وهو سكران اضطرابا شديدا ، ولا شك ان راؤول انتهز فرصة انفراده فى البيت عندما خرج بوب للبحث عنه ، ونقب فى مذكراته الخاصة ، وعرف كل شىء

ـ ولكن اباك يا فرانسوا كان واقعيا اكثر منك . لم يكن متعلقا

www.ibtesamah.com/vb

بما كانت تتشدق به أمنا من النسب العريق والعز الغابر ، هل أعيد على مسامعك ما كانت تقوله وهى تشير الى صورة القصر العتيق التى تحتفظ بها فى البومك ؟

ـ أرجوك يا راؤول ! كفى !

ـ كانت تقول : « هنا ولدت ، وفى سن الخامسة عشرة كانت لى وصيفة خاصة ، ومربية ، وحصان صغير ، وبالقرب من قصرنا كان يقيم ملك مخلوع عن عرشه ، وعن كثب منا كان بيت موباسان ولكننا الآن فقدنا هذا العز والثراء ، لا بأس ما دام قد بقى لنا جمال الروح وحساسية القلب ! » ... أليس هذا ما كانت تقوله أمنا وتعيده على مسامعنا ؟ فلماذا تحتفظ بصور الآباء الغر الميامين ، وقصورهم ؟ ألكى تتحسر وتبقى مرتبطا فى فقرك بتلك الاوهام التى لا سبيل اليوم الى بعثها ؟ لا تدع هذه الذكريات تعوقك عن مواجهة واقع حياتك ، وتخلص من وصايا أمنا التى كانت تقول باستمرار : « لا تنسوا يا أولادى مهما كانت الاحوال من أنتم ، ومن أى سلالة تنحدرون » ، فكيف يمكن أن تحمل نفسك على مجابهة الواقع وتقبل معاملة الناس لك على حساب حاضرك ، وأنت متعلق بهذه الخزعبلات ؟

ـ هل تشك ان أبى كان سعيدا معها ؟

ـ انظر الى صوره يا رجل ، انه يبدو متعاليا متجلدا كأنه محكوم عليه بالاعدام يواجه الرصاص ! ان من يبتسمون هذه الابتسامة هم اليائسون من الحياة يأسا نهائيا ، الذين لايريدون الكفاح ، وكل ما يطمعون فيه أن يموتوا رافعى الرأس !

ـ ولكن أبى كان يحبنا وكان يحب أمنا !

ـ كان لطيفا معها ، لم يرفع صوته فى وجهها يوما ما ، لا لانه يحبها ، بل لانه كان يدرك الا فائدة من أى محاولة لتغيير تفكيرها أو تغيير الواقع ، وكانت هى تزدريه لانه لم يكن سوى كاتب فى وزارة الاشغال ، ولم يستطع أن يكترى سوى خادمة واحدة ، وأما الاجازات فتقضيها العائلة فى فندق من الفنادق بالدرجة الثالثة

ـ ألا ترحم ذكراهما قليلا يا راؤول ؟

ـ قل لى ، أكنت تراها كثيرا فى أعوامها الاخيرة ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ كنت أذهب لزيارتها مرة كل أسبوع

ـ مع زوجتك ؟

ـ . . . . .

ـ معذرة ! أين ذهب عقلى ! كيف يمكن أن تعترف بزوجة ابن هى فى الواقع وحقيقة الامر بنت بائع موبيليات قديمة ! بائع الروبابيكيا !

ـ من فضلك يا راؤول والد جيرمين كان تاجر آثار وعاديات

ـ ألم اقل لك ؟ ان لك عقلية أمك ! تسمى بائع الروبابيكيا بائع أثريات ، لان هذا يرضى غرورك ويكفيك فى تزويق الحقيقة الكريهة ، انك تشبه أمك قلبا وقالبا ، أنا واثق انك كلما ثملت رويت لمن تقابلهم فى الحانة متاعبك الخاصة مستجديا عطفهم ، كلا ! انك تشبهها كل الشبه

ـ ألم تقل لى اننى أنهج على منوال أبى ؟

ـ نعم تنهج على منواله فى الاستسلام والانقياد ، ولكن نفسيتك هى نفسية أمك ، تذكر ان أباك كان يدعو أمنا يا ماما ، مثلنا تماما ، وكان يخضع لها خضوعا أعمى ، انك مثله تشترى راحة البال بأى ثمن وتتجنب كل ما فيه صراع وكفاح ، انك مثله تشرب الخمر خلسة لان أمى كانت تحرم عليه جلب الخمر الى البيت ، وكانت تعلم انه يسكر ولكنها تتجاهل ذلك ، كى يتسنى لها أن تقول عن زوجها انه لا يشرب الخمر ، وشىء آخر سأقوله لك عن ابيك ، ربما كنت تجهله يا فتى ، ان أباك كان رجلا سليم الغرائز ، كان ينظر باشتهاء الى كل فتاة تمر به فى الطريق ، ويذهب مرة فى الاسبوع الى ماخور منعزل عن الانظار

واغبر وجه فرانسوا عندئذ وصرخ مرتعدا :

ـ لا تقل هذا عن أبينا !

ـ انى يا فتى أعرف ماذا اقول ، لقد صادفته فى ذلك الماضى مرارا ، وسألت الفتاة التى تعود أن يزورها كل أسبوع فذكرت لى عنه أشياء وقف لها شعر رأسى ! كان داعرا !

اذن أبوه أيضا كان مثل خاله ليون ! وشعر بالغثيان وهو يتصور أباه عاريا فى ماخور ، كما رأى خاله عاريا وهو صغير

ـ أفهمت الآن يا فرانسوا ؟ انك متعلق بمظهر أبيك الوقور

www.ibtesamah.com/vb

المحترم المحتشـــم ، وهأنت عرفت الآن أن تحت ذلك الوقار كانت تختفى مباذل ومهازل ، فخبرنى هل دخلت الآن فى مرحلة سيلان اللعاب من فمك كلما مرت بك فى الشارع فتاة حسناء ؟

ـ . . . . . .

ـ ليس بعد ؟ لا تقلق ! سيأتى هذا الدور قريبا ، ولا تغضب منى يا صغيرى فرانسوا ، فأنا لست خيرا منك ، ولـكنى واضح مع نفسى وصريح ، وأخونا مارسيل ليس خيرا منا

ـ مارسيل موفق وسعيد فى حياته

ـ هل انت مغرم يا فرانسوا بمارسيل ؟ هل تحبه حقـــا ؟ الم يثابر على اقتراض النقود منك وهو طالب فى الجامعة ؟

ـ نعم طالما اقرضته

ـ ولـكنه كان ذكيا ، فرد اليك القروض كلها حينما بدأ العمل فى المحاماة ، وردها مع الفوائد القانونية ، حتى لا يكون لك الحق فى طلب معونة منه حين تقبل عليه الدنيا

ـ انك تتحامل على مارسيل

ـ انك تظن بقســـوة لانى أحطم لك اصنام الاسرة التى طالمـــا تعلقت بها أيها الغر الساذج ، لانك تعيش فى الوهم وتجهل حقائق من تعبدهم ، ألا تعرف كيف اثرى اخونا مارسيل ؟ اذن اسمع ! فى شارع سوق السمك رجل المانى الاصل شبه أمى ، يقرض نقودا بالربا الفاحش ، وبأساليب ملتوية ، واحتاج هذا الرجل لمحام خرب الذمة يحتال على نصوص القانون كى يفلت هذا المرابى من طائلته ، واستطاع بذلك ان يخنق مئات من صغار الناس ويبتز ممتلـكاتهم ومدخراتهم الصغيرة ، ويتركهم يواجهون الشـــيخوخة معدمين ، واصبح هذا المحامى شريكا للمرابى ، وهذا المحامى هو أخوك المحترم مارسيل الذى صار مستشارا قضائيا لشركة هـــذا الالمانى المرابى القذر ، وفى سن الثلاثين صار أخوك اشد فجورا من الالمانى العجوز ، فاقتنصه فى حبائله وقضى عليه ماليا ، وانتقم لآلاف الضحايا منه

ـ هذا غير صحيح ، انه تزوج ابنة الرجل الوحيدة

ـ ها ها ، هذه هى طريقة اخيك الخاصة ، تزوج ابنة الرجل الوحيدة ، وعن طريقها سلب الرجل كل ثروته ، حتى أصبح هـــذا

www.ibtesamah.com/vb

الشيخ لا يملك الآن امرا ولا نهيا فى شركته الكبيرة ، ابنته الآن تملك كلّ شيء هى واخوك ، وليس على الرجل العجوز الا الطاعة

ـ ان زوجة اخى هى التى تسيطر عليه فى الواقع

ـ طبعا ، ولكن تأكد ان هذا الحال لن يدوم ، فأنا واثق ان اخاك سيقتنص منها قريبا كل ملايينها ، والآن الا ترى ان اخاك المليونير نذل ؟ ارسلَ اليك مائة فرنك تافهة حينما بعثت اليه تستجديه بخطاب مؤثر

ـ لم يكن هو الذى أرسلَ المائة فرنك بل زوجته رينيه

ـ هذا ثمن سعادتها للحصول على وثيقة بخطك تكسر بها عين زوجها ، لانها اثبات قاطع لسوء حال الاسرة الكريمة

حقا ان راؤول مخيف وقاس ! لقد قضى الليلة كلها يحطم كلّ مقدسات فرانسوا العائلية والعاطفية

▭

واخيرا نجح فرانسوا فى ارتداء ثيابه ، ارتداها لا لشيء الا لانه يجب أن يتناول كأسا من الخمر ، وكان يخشى ان يقابلَ ابنه فى الشارع ، لانه تذكر ما قاله راؤول عن ابيهما وكيف كان يقابله أحيانا وهو يتسلل خارجا من المواخير خلسة ، لقد كان هذا الجرح اعنف طعنة أصابه بها اخوه تلك الليلة

والتقى فى الطابق الارضى بالبوابة التى ابت ان ترد عليه التحية ، واسرع يتوارى فى زحام الناس وقد صمم على الاقل ان يدخل حانة قبل أن يغادر الشارع نهائيا

ومن غير تفكير ابتدر الخمار قائلا :

ـ كأسا من الكلفادوس

واشاح بوجهه عن المرآة لانه لم يكن حليقَ الذقن ، ووجهه مصفر، ودلته ساعة البار على ان الوقت قبل الظهر بنصف ساعة ، ولكن ربما كانت هذه الساعة مختلة

ولسعت حدة الخمر حلقه حتى طفرت الدموع الى عينيه ، وقدم اليه الخمار كأسا من الماء عند ما لاحظ ذلك من غير ان يطلبها فرانسوا ، واوشك أن يقسم الا يقرب الخمر مرة اخرى ، فلا بد أن يصل الى قرار بأى شكل ، وكان معتقدا أن كأسا ثانية ستصلح

www.ibtesamah.com/vb

ما فى جوفه من غثيان ، فصرف النظر عن تحريم الخمر على نفسه مؤقتا وشرب كأسه الثانية ببطء وحذر ، واخذ يتساءل :

ـ هل راؤول شقى فى حياته ؟ انه لا يتصور أن يكون راؤول سعيدا ، ولكنه لم يستطع أن يكتشف وجه شقائه

ـ هلّ هذه الساعة مضبوطة ؟

ـ انها متأخرة سبع دقائق

فى الغالب تم الآن اجراء الجراحة ، ولعلّ جيرمين ماتت فعلا وهم يبحثون الآن عنه ليبلغوه الخبر

وشعر انه اقرب اليها اليوم مما كان فى اليوم السابق ، والواقع ان وفاتها أمر متوقع ، بل مرغوب فيه ، فلماذا يعقد المسائل مع ان موتها سوف يحلّ جميع المشاكل تقريبا

ان صورتهما فى الالبوم مع سائر الصور العزيزة المقدسة ، صورة الزفاف ، وانها بالرغم من حداثة عهدها نسبيا تبدو باهتة كأنها من صور الراحلين عن الحياة من سنوات ، وانه لا يرتجف الآن ان يتذكر ذلك ، فطالما كان خائفا من الموت ، فحتى وهو طفل صغير كان يرتعد رعبا من فكرة الموت ، حتى أنه كان يستيقظ فى جوف الليل مرتاعا ويصرخ قائلا :

ـ بابا ، انا مت !

ولكن لماذا كان وهو صغير يفزع عند الخوف مناديا أباه لا أمه ؟ انه كان دائما متعلقا بالحياة ، ولم يكن ليتمنى موت جيرمين لو أن الامر بيده ، فهى كذلك كانت تخاف الموت ، وكثيرا ما قالت له :

ـ لن تتركنى أموت ، أليس كذلك ؟ فما دمت قريبا منى متمسكا بى ، فلن يقربنى الموت

وسأل الخمار بصوت أجش :

ـ هلّ عندك تليفون ؟

ـ نعم

ولكن قبل أن يطلب المستشفى فى التليفون يجب أن يفكر فى شىء آخر غير الموت ، والا كان ذلك فألا سيئا ، يجب أن يفكر مثلا فى الحانوت الذى رأى فيه جيرمين أول مرة ، فى بدروم بيت عتيق ، وكان هذا الدكان دكان أبيها ، وكان من عادة أبيها حين يكون الجو

www.ibtesamah.com/vb

صحوا أن يجلس فى الشمس أمام الباب

الحقيقة أن دكان الاثريات كان أشبه بدكاكين نفايات الاثاث ، وكان التراب فيه أكداسا مكدسة ، ولا بد انه احبها فى ذلك الوقت ، أما الآن فهو لا يذكر بالضبط حقيقة شعوره نحوها

ـ آلو ! اهذا هو المستشفى ؟

وأسف لانه لم يشرب كأسا ثالثة ، فيده التى تحمل المسماع كانت ترتجف ، وأحس أن الدوار يصيبه وهو داخل قمرة التليفون الحارة

ـ . . . أنا فرانسوا لكوان ، زوج مدام جيرمين لكوان نزيلة الحجرة رقم ١٥ التى أجريت لها الجراحة هذا الصباح ، لم أستطع الحضور الى المستشفى ، وأريد ان أعرف . . .

ـ لحظة واحدة

وانتظر برهة طويلة ، وسمع همسا غامضا ، ثم سمع عاملة التليفون فى المستشفى تقول همسا لزميلتها :

ـ لم أستطع ان اذهب أمس ، ولكنى سأذهب الليلة ، فالجميع يقولون انه فيلم رائع . . .

ـ آلو . . . ان مدام لكوان عادت الى حجرتها بعد العملية

ـ ألم تمت ؟

ـ انها لم تفق بعد من المخدر ، والممرضة تقول انه لا يمكن اصدار رأى عن حالها قبل اربع ساعات ، فأعد السؤال فى العصر

ان جيرمين لم تزل على قيد الحياة ، فى فراشها ، بجوار الآنسة ترودل البدينة ، لابد الآن أن يشترى الخضر ويعد طعام الغداء ، فان بوب يمكن أن يعود من عند صديقه ابن السمكرى فى اية لحظة

www.ibtesamah.com/vb

ليس اليوم يا رب !

ـ هل اعد المائدة يا أبتاه ؟

ـ طبعا يا بوب

والحقيقة ان الاثنين كانا يكونان معا اسرة عجيبة ، فالغلام منذ غابت امه عن البيت صار يقوم بأعمال كان من المستحيل حمله على القيام بها من قبل ، ومن يتأمل الغلام واباه يجد تماثلا كبيرا جدا فى حركاتهما ومشيتهما ، حتى أن جميع الناس كانوا يعجبون لذلك ، ويتلفت الغرباء من عابرى السبيل لينظروا اليهما

وكان من عادتهما رغم الفقر أن يغطيا المائدة بمفرش ، وطبعا كان راؤول حريا أن يعلق على ذلك بأن هذا عرق النبلاء القدامى من آل أمهم ، والحق ان فرانسوا لم يكن يطهو الطعام كل يوم ، ولا يشترى الاطعمة الجاهزة بدافع من الكبرياء كما يظن راؤول ، بل بدافع من الواجب ، واجبه نحو بوب ، فهو لايطيق أن يرى ابنه يأكل طعاما سوقيا من ورقة على طرف من مائدة المطبخ ، وكذلك كانت مراتب الفراشين تقلب كل يوم ، فنظام البيت كان مستمرا كأن ربته فيه تماما

ـ اذهب واغسل يديك يابوب قبل الاكل

انه فى المساء يغسل بيديه جوارب ابنه ، ويعد له غيارا من الملابس الداخلية يجده على الكرسى فى الصباح

هل كان الغلام يغفل السؤال عن أمه أو الحديث عنها بدافع من الكياسة ؟ ان فرانسوا كان يشك أحيانا فى ان الفتى يغفل ذلك لا عن كياسة بل عن عدم اكتراث ، عدم اكتراث بأمه على الخصوص فحينما كان صغيرا كان أبوه هو الاثير عنده ، وكلما ضايقه أحد قال على الفور :

ـ ساخبر أبى

فهل لم يزل الاثير عند ولده ؟ هل لم يزل بطله ؟ من الصعب ان

www.ibtesamah.com/vb

يجيب عن هذا السؤال جوابا دقيقا ، ففى المدة الاخيرة لم يكن الغلام كثير الكلام ، وكان يبدو عليه انه يزن كلماته قبل أن يتفوه بها

ـ هل سيعود اخوك يا ابى ؟

ـ لا ادرى يابوب ، فان كان معتزما الاقامة فى باريس بعض الوقت ، فالارجح انه سيزورنا بين حين وحين

ولم يلح الغلام فى السؤال ، ترى ماذا يرى فى راؤول ؟ انه على كل حال لم يكن يتسمع وراء الباب فى الليلة الماضية ، لانه قام جملة مرات وتأكد أن الغلام غارق فى النوم

ـ خبرنى يا أبتاه

ـ ماذا ؟

ـ انك أذكى واحسن تربية من والدجستين ، أليس كذلك ؟

ـ أظن هذا

ـ أنا متأكد ، وأنت أذكى من عمى مارسيل

ـ لا أدرى ، لماذا تسأل ؟

ـ لا شىء

ـ بل قل الحقيقة ، ماذا يدور فى نفسك ؟

ـ هل عمى مارسيل غنى ؟

ـ غنى جدا

ـ وعمى الجديد الذى حضر بالامس ؟

ـ لا أعتقد هذا

ـ هل هو فقير ؟

ـ ولا اظن ذلك أيضا

ـ هل هو اذن مثلنا ؟

ـ نحن فقراء بصفة مؤقتة فقط يابوب ، الى أن أجد وظيفة

ـ أعلم هذا

ـ لم ينقص أى شىء ، أليس كذلك ؟

ـ كلا

ـ من قال لك اننا فقراء ؟

ـ لا أحد

ـ السمكرى ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ كلا يا أبى
ـ هل كانت البوابة تتحدث اليك عن ذلك ؟
ـ انها لا تكلمنى اطلاقا
ـ من اذن يابوب ؟
ـ كان هذا منذ زمن طويل
ـ من ؟
ـ أمى
ـ هل أمضيت وقتا طيبا هذا الصباح ؟
ـ لم نكد نلعب ، لان بنات الجيران كن هناك
ـ ولماذا لم تلعب مع البنات ؟
ـ أنا لا أحب البنات ، الصبيان لا يحبون البنات اطلاقا
ـ أحب أن تمكث فى البيت هذا العصر يابوب ، اقرأ لتتسلى
ـ ولماذا تريدنى ان امكث فى البيت ؟
ـ لانى يجب ان اذهب الى المستشفى
ـ ولكن اليوم ليس من أيام الزيارة
ـ ان أمك أجريت لها جراحة هذا الصباح
ـ مرة اخرى ؟ ولماذا تذهب انت ؟
ـ لاسأل عن حالتها
ـ ولماذا أبقى أنا فى البيت ؟
ـ لان أمك ربما تكون ماتت

وكان واثقا تقريبا من موتها وهو يتكلم ، كان واثقا من ذلك لانه حين جلس الى المائدة ونظر من النافذة وجد ساعة باشون وقفت على الساعة العاشرة الا عشر دقائق ، وهذه أول مرة تقف فيها الساعة منذ سنوات طويلة ، وخيل اليه انه يسمع صوت راؤول يهزأ به قائلا :

ـ مثل أمك تماما ! تؤمن بالفأل ، الفأل السيء طبعا !

وهذا صحيح ، لانه نشأ فى حضن أمه التى تتطير من كل شيء ، ولم يفطن فرانسوا الى غرابة هذا التفكير الى ان نبهه راؤول الى ذلك بالامس ، انه يذكر الآن كيف كانت القطط السوداء والبوم والغربان والرعد والبرق وأيام خاصة من الشهر تعنى عند أمه الفزع والتوجس

www.ibtesamah.com/vb

وفطن الى ان ابنه كف عن الاكلْ واخذ يحدق فيه ، فقال له :

ـ كلْ يا بنى كلْ

ان حضور راؤول افسد حياته ، كان من قبلَ مطمئنا الى افعاله ومشاعره ، راضيا عن نفسه ، حتى حضر راؤول وسخر من كلّ شيء وافسد طمأنينته الى حياته ، انه الآن بلا مقدسات ، وبلا مبادىء ، وبلا احترام لنفسه ، او اعجاب بها ، فهو يشعر الآن انه صار فى الحضيض الاسفلْ من الحياة ، وان اقبـــاله على الخمر بداية المرحلة الاخيرة فى الانحدار

ان الجيران يظنون انهذا الانحدار بدأ بذهابجيرمين الىالمستشفى والواقع ان جيرمين كانت مريضة قبلْ ذلك بسنوات ، وكان هـذا كافيا لاقناعه بنحس طالعه ، فلو لم يكن منحوسا لمـا انتقى المرض الخبيث زوجته من دون النساء ، ثم لماذا انتقى الافلاس من دون جميع التجار ورجال الاعمال المخدومين اللذين كانا افضلَ مخدومين حصل عندهما على وظيفة ، انه نحس طالعه ، اصاب الاثنين من اجلْ خاطره ، ولهذا اضطر تحت تأثير الحاجة ان يكتب خطابات استجداء الى هذا وذاك من الناس ، وان يشترى على الحساب ولا يدفع الثمن شهرا بعد شهر ، وان يتجنب شوارع معينة فيها دكاكين دائنيه ، وحتى المستشفى لم يدفع حسابه فى الشهور الاخيرة واشـــتبك فى مشاجرة سخيفة مع كاتب الحسابات ، واخذ يتذللْ اليه طالبا مهلة اخرى للدفع ، ومع هذا لم يفقد حتى الامس شـعوره بالـكرامة ، وجاء راؤول ليسخر من كبريائه ويبين له انها كرامة كاذبة ، ولـكنه لن يرضخ !

ـ لماذا لم تلتهم طبقكَ يابوب ؟

ـ لست جائعا

ـ انت تعلم انك يجب ان تأكلْ جيدا مهما كانت الظروف

ـ معدتى تؤلمنى

ـ هلْ كانت تؤلمك قبل الغداء ؟

ـ ان الاكلْ هو الذىَ يجعلها تؤلمنى ، لست جائعا

ـ اذن يجب ان تذهب الى فراشك

ـ ولـكنى لست مريضا

www.ibtesamah.com/vb

ولاول مرة أدرك ان للغلام منطق أمه جيرمين لا منطقه هو ، فان كان ما يقوله راؤول صحيحا من انه ـ أى فرانسوا ـ لا يعيش بشخصية بل كامتداد لأمه وأبيه وذكريات أجداده فحسب ، فقد ضاع كل أمل ، فكيف يصمد لضربات القدر والنحس وهو شخص ملفق الشخصية ، منحل الطبع ، كبناء ليس له أساس متين ؟ ان راؤول يؤكد أن صورة زفافه الى جيرمين قد اتخذ فيها نفس الوضع فى صورة زفاف أبيه وأمه

ولكن بوب الذى يحملق الآن فى أبيه ويقارعه الحجة ، هل بدأ منذ الآن يفكر تفكيرا مستقلا ؟ ان ذلك يعنى انه لم يشب كأبيه الذى نشأ عجينة لينة ونسخة مقلدة من أبويه ، وهذا سيجعل حياتهما معا عسيرة شاقة

وماذا لو ان جيرمين فى هذه اللحظة التى يغادران فيها مائدة الطعام تكون قد ماتت ؟

انه لايدرى كيف ينبغى أن يشعر بوقع وفاتها ، فلم يعد لديه احساس مستقل واضح ، لم يعد يجسر أن يستخدم ما كان يستخدمه بالامس من احساسات ومشاعر تقليدية موروثة تربى من صغره على انتحالها لنفسه لانها تسمى مشاعر لائقة للمناسبة !

ـ سأغسل الاطباق يا أبى

قالها بوب حينما رأى أباه يهم بارتداء المريلة ودخول المطبخ

ـ بل اغسلها أنا واقرأ انت

ـ انى أفضل غسيل الاطباق على القراءة

ـ أواثق أنت ؟ أليس هذا من عمل البنات ؟

ـ لست أبالى ما دامت البنات لا يبصرننى

وتركه أبوه فى المسكن وخرج

ان فرانسوا لم يعد يدرى ما الصواب وما الخطأ ، انه ضال ، ضال لأن عكازة المقدسات الموروثة عن أبويه أطاحها أخوه راؤول بالامس من يده ، وهو قد تعود المشى بعكازه ، ولا يستطيع أن يدب على قدميه وحدهما ، انه حتى الامس كان يشعر انه فى عالم مألوف ، عالم فيه أبوه وأمه ، أما اليوم وقد حطم راؤول قداسة ذكراهما ، فهو يشعر بالوحدة فى عالم جديد غريب عليه ، يتخبط كأنه حشرة

www.ibtesamah.com/vb

ضعيفة تنقلب على ظهرها كلما همت أن تعتدل على قوائمهـــا ، أو تنزلق الى القاع كلما حاولت أن تتسلق جدارا من الزجاج الاملس ، وليس هناك اى نتوء تستطيع أن تتشبث به ، أما بالامس فـكانت ذكريات وعقلية أبويه أشياء بارزة يتشبث بها وهو يكافح ليســعد

ان الدنيـــا اليوم قد فقدت طعمها المـألوف لديه ، حتى شريحة اللحم التى شواها فى الظهر لم يحس لها رائحة ، واللقمة التى أكلها لم يحس لها طعما ، وأشكال الناس التى كان يراها كل يوم لم يعد لها عنده معنى ، ولذاته الصغيرة ، مراقبة سيقان الفتيات الصغيرات وهن يعبرن به منصرفات الى لعق قراطيس الجيـــلاتى ، والعاهرات الثلاث اللواتى يتخذن حانة بوبول والرصـــيف الذى امامها محلا مختارا لهن ، كل ذلك لم يعد له معنى أو اهمية لديه

ــ يا الهى أتوسل اليك الا تتوفاها اليوم ، ان كان ولا بد فتوفها غدا ، أو بعد يومين ... أو ثلاثة ! أتح لى يارب الفرصة لأحظى بشىء من النوم أسترد به توازنى ، بشرط الا يحضر راؤول ليفســد بتهكمه كل شىء !

وعندما دخل من باب المستشفى كان هذا الابتهال يطن فى رأسه : ليس اليوم يارب !

ووقف أمام كبيرة الممرضات يســـألها ويذكر رقم الغرفة واسم المريضة بطريقة آلية ، فنظرت اليه بهدوء تام وقالت :

ــ نعم ، نعم ، ماتت بعد الجراحة بساعة واحدة !

▭

ومدى ساعة لم يكن فرانـــوا سوى قشة فى مهب الريح ، كان يتحرك من غير وعى ولا شـــعور ، وجعلوه ينتظر فوق كرسى خارج باب ، ثم على مقعد خارج باب آخر ، وجعلوه يوقع على أوراق ، وكان يصغى لما يقولونه له ويبذل مجهودا كى يفهم بالضبـــط ماذا يريدون أن يقولوا ، ولـكنه كان عبثا يحاول

وأروه جيرمين فى غرفة عجيبة مع جثتين اخريتين ، لانها لم تكن فى حجرتها رقم ١٥ ، وعندما طلبوا منه دفع ما عليه للمســـتشفى قال :

ــ غدا سأحصل بالتأكيد على نقود ، انى الآن فى حالة سيئة ، ولا

www.ibtesamah.com/vb

ادرى بالضبط ماذا أستطيع أن افعلَ ؟..

وكان عليه طبعا أن يدفع مصاريف الدفن، وقد أعطوه فى المستشفى عنوان حانوتى رخيص يتكفل بكل شىء

ـ طبعا ، طبعا ، سأذهب اليه فورا ...

ومشى بغير وعى الى العنوان الذى ذكروه له ، وطوال الطـــريق كانت تطن فى رأسه مع ضوء الشمس الغاربة هذه العبارة :

ـ لو أنها فقط انتظرت حتى الغد !

وسألوه فى مكتب البلدية عن شهادة ميلادها ، فقالَ :

ـ أظنها فى البيت

ـ يجب أن تحضرها

واتجه الى البيت وهو يفكر كيف يلقى النبأ الى بوب ؟ ووجده جالسا ينظر فى البوم الصور ، وسأله الطفل :

ـ هل ماتت أمى ؟..

ولم يرفع بوب وجهه عن الصور وهو يسأله ، بل كانت يده تقلب ورقة منه بهدوء

ـ أجل يابوب ، ويجب أن أعود الى دار البلدية بشهادة الميلاد فورا

ـ هل اذهب معك ؟

ـ كلا

ـ أرجوك

ـ قلت لك كلا ، أريدك أن تبقى فى البيت وان تكون هادئا مطيعا ، فانى منغص بما فيه الـكفاية

وفى البلدية سألوه عن شهود ، واضطر أن يخرج ليكترى شاهدين محترفين أمام باب البلدية ، وكانت الاجراءات الرسمية تسير ببطء وبلادة من جانب الموظفين ، وبشرود تام من جانب فرانسوا ، لانه كان يفكر طول الوقت فى مشكلة مصاريف الدفن : ترى هلْ يتـــأثر مارسيل ويعطيه شيئا ؟ أم لعلَ الافضلَ أن يقابلَ رينيه ويطلب منها النقود ، ويلمح لها انه لا يليق أن يدفن أخى زوجته فى مقـــابر الفقراء ، وانه اذا عرف الناس ذلك فسوف يخسر مارسيلَ أصواتا كثيرة فى انتخابات البلدية القادمة

وخرج بترخيص الدفن وهو يترنح ليرى زحاما كبيرا من المتنزهين

www.ibtesamah.com/vb

ذاهبين الى الشواطىء للتخلص من الحر ، كلّ شيء حوله كان يتحرك الا هو ، فقد كان فى دوامة

ماذا لو أن رينيه زوجة مارسيلّ لم تكن فى البيت ؟ ماذا لو انها كانت مسافرة فى المصيف ؟ لم يعد لديه ما يبيعه

ووقف على الرصيف امام بيت مارسيـــلّ ، واوشك أن يصرخ فى المارة ان جيرمين ماتت ، لولا أنه تمالك نفسه فى اللحظة الاخيرة ،

ولمح حانة بجوار بيت مارســـيلّ ، ومن غير أن يشعر قادته قدماه الى الداخل وطلب كأسا من الـكالفادوس ، وهناك خطرت برأســه فكرة ، خشى أن ترفض رينيه مقابلته وتنكر الخادم وجودها ، فطلب دليلّ التليفون ، ثم أدار رقم منزلّ مارسيلّ ، فسمع صوت رينيــه

ــ أهذه انت يارينيه ؟ لقد عرفت صوتك ، انا فرانسوا

ــ . . . .

ــ لابد لى من مقابلتك فورا

ــ انى مسافرة فورا

ــ الامر هام جدا ، جيرمين ماتت

ــ اذن . . . احضر ، ولا تتأخر لانى على عجل للخروج

وعاد فرانسوا من قمرة التليفون ليقول للخمار

ــ على جميع الناس اللعنة ! كأسا اخرى من الـكلفادوس

www.ibtesamah.com/vb

رينيه

ماتت جيرمين !

واثاره أن يردد تلك الكلمات بصوت هامس لاهث ، وكان يتمنى لو استطاع أن يصيح بها صارخا بأقصى ما تستطيع رئتاه ، كأنما يحمل جميع الناس وزر ذلك الموت وتبعته ، أو كأنما يجد مجدا شخصيا فى تلك الكارثة

ألم يكن واقعا تحت هذا التأثير نفسه عندما صاح يوما ما ينبىء زملاءه السابقين فى العمل :

ـ ولد لى غلام !

وكانت جيرمين تقول له كلما حلت مناسبة تستوجب ذهابها الى بيت مارسيل فى « كى مالاكى » ذلك الحى الارستقراطى الفاخر :

ـ اذهب وحدك يا فرانسوا ، فأنا لا أشعر بالارتياح فى بيت أخيك مارسيل

ولم تقل اطلاقا فى اى يوم :

ـ فى بيت رينيه

بيد انها كانت تعنى ذلك فى نفسها

وكذلك هو شخصيا كان يشعر دائما بعدم الارتياح هناك ، مع ان أمه بطبيعة الحال كانت تحب كثيرا أن تقول للناس بشىء من عدم الاكتراث المصطنع ، عندما يجرى ذكر مارسيل :

ـ ابنى يسكن فى « كى مالاكى » ...

فكما ان هناك لغة خاصة فى الاسرة لا يفهمها تمام الفهم الا من نشئوا فى قدس اقداسها الداخلى ، كذلك كانت هناك جغرافيا عائلية خاصة بآل « لكوان ناى » ، فآل أمه ، عائلة ناى بالرغم من أن مكاتبهم كانت دائما فى الضفة الاخرى من النهر فى شارع لنوار ، الا ان مساكنهم فى أيام العز السالف كانت فى شارع سان ميشيل الفخم فى مواجهة حدائق اللكسمبور ، وكان جده لأمه أغنى أفراد الاسرة

www.ibtesamah.com/vb

ولهذا كان يحز فى نفس أمه وهى عروس أن أهل زوجها من عائلة لكوان يعيشون فى شارع أرقى من سان ميشيل ، هو شارع سان دومنيك

وللأسف ان أبويه سكنا فى ميدان الاديون ، وهو اقل بعض الشىء اجتماعيا من الشارع الذى يسكنه أبو الزوج وأبو الزوجة ، وها هو ذا فرانسوا قد أكمل الانحدار ، وسكن فى شارع مونيرناس ، وهذه البقعة فى نظر والدته تعتبر وصمة اجتماعية ، لانها تدل على أن احد افراد الاسرة يعيش فى جيرة الطبقة العاملة الوضيعة ، ومن لطف الله ان مارسيل قام بالتعويض أو التكفير عن تلك الزلة ، فصعد السلم الاجتماعى بضع درجات ، وسكن فى دار فخمة جدا فى « كى مالاكى » ...

وكان راؤول يقلد أمه متهكما فيقول :

ـ فى مواجهة قصر اللوفر بالضبط

وكان كل من فى الاسرة مستاء حانقا لهذا الصعود المفاجىء الذى اصابه مارسيل ، وكان فرانسوا حانقا كسائر أعضاء الاسرة ، وعلى الخصوص بسبب ذلك الساقى ذى السترة الخضراء والقفاز الابيض الذى يقدم للزائرين كئوس البورت ، حتى صار هذا الساقى الذى يشبه سقاة بيوت اللوردات الانجليز أشبه بالرمز الحى لمكانة مارسيل الجديدة

وقلما كانت الإسرة تدعى الى « كى مالاكى » ، اذ لم تكن تدعى الا حينما يكون اغفال دعوتها بمثابة اعلان واضح للقطيعة ، فلم تكن دار مارسيل من الدور التى تدخل اليها حيثما اتفق كلما هزك الشوق لالقاء التحية ، وكان فرانسوا كلما اجتاز ناصية ذلك الشارع قادما من شارع بونابرت ، ينظر بغيظ مكتوم الى ذلك البيت الذى لم يكن له ولأمثاله فيه مكان

كان يعتبر مارسيل خائنا لأسرته ، فهو اذا اختار هذا الوضع لنفسه وباعد بينه وبينها ، قطع السبيل على اى مشاركة شعورية بيد ان جيرمين ماتت ، ولا بد من فرانسوا أن يذهب بمفرده كى يقابل رينيه زوجة أخيه

وكانت رينيه امراة فارهة ، أشبه بربة الاغريق جينو ، فهى طويلة

www.ibtesamah.com/vb

القامة ، متناسقة الجوارح والملامح ، أنثى حقيقية ، أو على حد تعبير راؤول « حيوان دافىء » فراؤول الذى قضى معظم سنوات عمره فى المستعمرات كان يعلم كل شيء عن الاسرة وما يتصل بها ، والله وحده يعلم كيف كانت تبلغه تلك المعلومات

بل ان راؤول ذهب الى أبعد من هذا الحد فى وصف رينيه ، فهو يؤكد أن هذه المراة ملتهبـــة المزاج ، حتى أنها فى مدى عامين من الزواج استنزفت كل حيوية مارسيل

والحق أن مارسيل على الرغم من صغر سنه بدأ يبدو للناس جاف العود ، حائل اللون ، ودب الصلع الى رأسه قبل الاوان ، والتعب والارهاق يبدوان عليه مما يعتبر دلالة واضحة على شيء معين ، يؤيد فراسة راؤول

ولما سأل أخاه راؤول :

ــ أتظن انها تخونه وتخدعه ؟

قهقه راؤول وقال :

ــ انها لا تخدع أحدا ، انها تعتبـــر انها أغنى من أن تحتاج الى التمويه والمداراة فى سلوكها ، كل ما هنالك انها ذات قابلية لا تعرف الاكتفاء والشبع ، وهى لا تفلت فرصة تجد فيها ما يرضى رغبتها ، ويقال انها سكرت فى احدى علب الليل ذات مرة ، وراق لها راقص اسبانى محترف ، فنزلت تحت المائدة واحتضنت ساقيه ، والناس من حولهما ينظرون وهى لا تبالى

ان مارسيل الآن فى دوفيل ، وكذلك بناته مع مربيتهم ، فهو يعلم انهم يستأجرون كل سنة فيلا لقضـــاء الصيف ، اللهم الا اذا كانوا قد اشتروا فيلا فى المدة الاخيرة . . .

▭

ــ جيرمين ماتت !

أعاد على نفسه تلك العبـــارة للمرة الالف وهو يخرج من باب المصعد ، وعندما فتحت رينيه بنفسها باب المسكن المصنـــوع من خشب البلوط المنقوش ، أعاد اليها القول مع انه ذكر لها ذلك من قبل فى التليفون

ــ جيرمين ماتت !

www.ibtesamah.com/vb

ـ مسكين يا فرانسوا ، انى آسفة كل الاسف ...

وكانت مستعدة فعلا للخروج كما قالت له فى التليفون وكانت مرتدية قبعة صيفية مخرمة مزينة بالازهار ، وثوبا من الحرير يسميه ملوك الازياء ثوبا رياضيا « اسبور » ، وكان يفوح منها عطر رقيق ولكنه نفاذ يدير الرأس

وكان قد لمح سيارتها الفارهة أمام الباب ، وزخارفها المعدنية تلمع فى ضوء الشمس ، والسائق الانيق يطالع امام عجلة القيادة احدى صحف المساء

وسمعها تقول له :

ـ انها لكارثة ، أليس كذلك ؟

فنظر فى عينيها ، وذلك شيء لم يجسر عليه من قبل

ـ ولماذا تعتبرينها كارثة ؟

فتغاضت عن سؤاله ونظرته وسألته :

ـ متى حدث ذلك ؟

ـ قرب الظهر ، بعده بقليل

ـ يا للمسكينة !

ـ اتعتقدين ذلك حقا يارينيه ؟

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى انها لم تكن متعلقة بالحياة بعد أن طال عليها المرض !

وكانت زوجة أخيه سمراء ملفوفة القوام ، ليس فيها ترهلٌ كلّ جزء من لحم جسمها يدل على القوة والحيوية ، وشعرها الغزير ينسدل فى خصلة طويلة جميلة على عنقها الاملس

وكانت واقفة فى البهو الذى يشبه بهو قصر ريفى عتيق أكثر مما يشبه مسكنا باريسيا عصريا ، وكانت أشعة الشمس تنفذ الى البهو متسللة خلال زجاج النوافذ القوطية

وقالت له رينيه لتختصر الوقت :

ـ أظنك تشعر يا فرانسوا بشيء من الضيق فى مناسبة كهذه وكنت تريد أن تقابل مارسيل ؟

فأدرك انها لا تعلم التغير الذى طرأ عليه ، ولهذا كانت تكلمه كما طالما كلمته بلهجة المتعالى ، فسألها بجفاء :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ولماذا مارسيل بالذات ؟

فبدت عليها الدهشة من لهجته الجديدة ، ومع كل عبارة كانت دهشتها تزداد ، ولما احس ذلك ازدادت شجاعته

ـ انه اخوك على كل حال ، اليس كذلك ؟

ـ ما اهون تلك الاخوة عليه يا رينيه !

ولا بد انها كانت قد اعدت له شيكا فى البرهة التى انقضت بين الحديث التليفونى وبين حضوره ، او ربما اعدت له مبلغا نقديا من المال ، فان أصابعها ظلت تعبث بقفل حقيبة يدها من غير أن تجسر على فتحها ، واخيرا سألته :

ـ متى تقام الجنازة ؟

ـ لست ادرى ، لم افكر فى ذلك بعد

ـ هل ماتت فى المستشفى ؟

ـ أجل

ـ انك ستحضرها الى البيت ، اليس كذلك ؟

ـ أتظنين هذا ضروريا ؟ ان معارفنا قليلون جدا ! وهم فى مثل هذا الوقت من العام فى المصايف

وكان يبدو على فرانسوا انه يتكلم بلهجة طبيعية جدا ، وكأنه يخوض فى موضوع عادى جدا ، ليت راؤول سمعه اليوم ، اذن لتملكته الدهشة للتغير الذى طرأ عليه ، وكيف انقلب من رعديد خجول الى جسور الى درجة الفجور

ولا شك فى انها كانت تتساءل بينها وبين نفسها هل هو ثمل ، ولا بد انها بمفردها فى البيت وهى على وشك السفر الى دوفيل ، وكانت تعلم هذا يقينا ، ومع ذلك خانتها اعصابها وخوفها منه ، فنظرت الى الباب المفتوح خلفها

وتذكرت بحكم العادة المرعية شعيرة من الشعائر التى تراعى فى هذا البيت سواء رضيت أم كرهت فقالت :

ـ الك فى كأس من البورت يا فرانسوا ؟ وانى اعتذر اليك من سوء استعداد لاستقبالك ، ولكنى مضطرة للسفر فورا ، لانه ستقام الليلة فى كازينو دوفيل حفلة ساهرة كبرى ...

وتذكرت على الفور ان هذه العبارة ليست مما يناسب المقام ، فى

www.ibtesamah.com/vb

خطاب رجلٌ فقد زوجته هذا النهار ... فقالت :

ـ عفوك يا فرانسوا

فقال لها بهدوء وثبات :

ـ لا عليك ، هذا شيء طبيعي جدا ، ان الحياة لا تتوقف لسبب كهذا ، واتمنى أن تتمتعي بزيارتك

ـ أتريد بورت أم ويسكي ؟

ـ بل ويسكي ان لم يكن لديك مانع ، فأنا لا تسنح لي الفرص كثيرا في هذه الايام لاحتساء الويسكي

وكان قبل اليوم ينتظر متضائلا في البهو ، اما اليوم فقد تبعها عن كثب ، وعلى سجيته للغاية ، وهو يرقب بامعان تأرجح فخذيها تحت ثوبها الحريري الخفيف

وكانت تعلم انه يفكر في وحدتها في البيت الآن ، وهي ايضا فكرت في ذلك ، فانها الآن تحت رحمته ، وفي استطاعته بكل سهولة أن يقتلها مثلا ، لم لا ؟

ـ في صحتك يا فرانسوا ! انا آسفة لاني لا أستطيع ان أحضر لك مكعبات الثلج ، فان الخدم رفعوا الاتصال الكهربائي عن الثلاجة قبل أن يرحلوا ، وانا واثقة ان مارسيل لو كان هنا الآن لكان يسعده أن يمد لك يد المساعدة ...

وسكتت برهة ، ولكنه لم يعلق بكلمة ، فاستطردت :

ـ هلّ ... موقفك كما هو ؟

ـ اي موقف ؟

ـ اعني ظروفك ... المادية ؟

ـ لم أزل متعطلا عن العملْ

وكانت هذه اول مرة يعبر فيها عن حالته بهذا الوضوح وهذه الصراحة وبلا خزي ، واحس للكلمة تأثيرا يهزه لا يقل عن تأثير قوله : جيرمين ماتت !

ـ هلْ عرفت كم تتكلف الجنازة اللائقة ؟

ياله من سؤال لائق بابنة المرابي الذي جمع الملايين من عرق الناس ودمهم ليقضي آخر أيامه في كوخ بالضواحي يسقي أزهار الحديقة !

www.ibtesamah.com/vb

ـ انى لم أفكر فى ذلك بعد يارينيه

ـ اذن ...

وعزمت على أن تفتح حقيبتها ، فتخيل اصابعها تتحسس الشيك خمسمائة ؟ الف ؟

انه لم يشعر انه محموم من التأثر والتوقع كما شعر الآن ،

وتمنى أن يكون راؤول موجودا ليراه ويدهش للتغير الذى طرأ عليه ، بل وتمنى أن تكون جيرمين هنا لترى أى رجل هو على خلاف الرجل الذى عاشرته معاشرة زوجية كل تلك السنوات

ولحسن الحظ كانت رينيه مقدرة للظرف ، ولذا تركت الشيك فى حقيبتها ولم تخرجه عند بداية المقابلة ، ولم تعد تنظر الى ساعة معصمها ، وتجنبت فى الثوانى الاخيرة أن تقابل عينى شقيق زوجها

ان هذه هى اللحظة الحاسمة ليضرب ضربته :

ـ الواقع يا رينيه ان أهم حوادث هذا اليوم ليس وفاة جيرمين ، فانها كما قلت لك منذ قليل لم تكن متعلقة بالحياة بعد مرضها الطويل

ـ ولكنك كنت تحبها يا فرانسوا !

وكان صوتها يدل على التأنيب ، وكأنه صوت ممثلة على المسرح ، فحتى بنت المرابى التى لا تتورع عن الفجور والفسق تحت مائدة النادى الليلى ، تشعر ان هناك عواطف لائقة يجب أن يظهر بها الانسان ، الا ما اشبهها بأمه !

ـ أتظنين ذلك حقا يا رينيه ؟

وطاب له أن تبدو عليه سماء التفكير والتفلسف وهو يستطرد :

ـ المسألة لست انى أحبها أو لا أحبها ، لقد الف كل منا الآخر ، وهذا كل ما هناك ، مسألة تعود ، وطول الالفة يقتل الاهتمام ويقضى على الجدة والطرافة فى العلاقة

ـ اسمع يا فرانسوا ، هل شربت قبل أن تحضر الى هنا ؟

ـ لم اشرب شيئا يذكر

ـ اسمع يا فرانسوا ، انى ...

ولكنه كان قد قرر ألا يترك لها الزمام ، انه يعرف ما ستفعله ، انها ستدفع به فى لطف نحو الباب ، لانها لابد أن تعود الى دوفيل

www.ibtesamah.com/vb

فورا وتقدم أو تدس فى يده الشيك كما هو مفروض أن تفعل مع قريب فقير محتاج وهى تغمغم :

ـ يجب أن تعذرنى ، فهم ينتظروننى الآن فى دوفيل !

كلا ، ليس اليوم ، كان هذا ممكنا بالامس ، أما الآن فلن يقبل هذا الوضع ، انه يفضل على ذلك الف مرة الحل الآخر : أن يقتلها ، فقتلها فرصة طيبة كى يغتصبها فى الوقت نفسه ، انه ظل الشاة الخاضعة السهلة القياد زمنا طويلا ، ستا وثلاثين سنة بالضبط هى كل عمره ، والآن حان يومه وجاء دوره كى تكون له الكلمة العليا

وكان متلهفا كى يرى النظرة التى تتراءى من عينى ابنه عندما يعود الى البيت ، لأن هذا الغلام يبدو انه يتساءل فى المدة الاخيرة باستمرار :

ـ هل ابى اقل من سائر الآباء ؟

وهذا فعلا هو ما عناه الفتى بسؤاله على مائدة الغداء ، ذلك السؤال الذى تردد كثيرا قبل أن يلقيه عليه

ـ الست يا ابى اذكى من والد جستين السمكرى ؟ ومن العم مارسيل ايضا ؟

وهذا ما رسم فرانسوا خطته ليقوم باثباته ، وماذا عليه من المجازفة ؟ ليس لديه ما يخسره ، ومن الممكن أن يربح كل شىء ، لقد وصل الى القاع ومن المستحيل أن يزداد هبوطا عن هذا الحد ، وجيرمين ماتت ، فلم يعد فى استطاعتها أن ترمقه بنظراتها المتشككة المختلسة التى تجعله يشعر بالضآلة ويفقد ثقته بنفسه وهى راقدة فى فراشها بالحجرة رقم ١٥ بالمستشفى

طالما كذب عليه الناس واضطروه أن يكذب ، فاذا اندفع اليوم فى الكذب واستمراه ، فليس الذنب ذنبه ، فعليه الآن ان يتغاضى عن راى الناس واحساسهم ويبحث عن ارضاء نفسه واحساسه

ـ انى لم اخبرك بعد يا رينيه ما هو الحادث الحقيقى الهام فى يومى هذا ، الحادث الذى يربو فى اهميته على وفاة زوجتى

ـ لا يمكن أن يكون أى حادث اهم من ذلك يا فرانسوا

ـ ربما لم يكن اهم من ذلك بالنسبة لها ، أما بالنسبة لى فالمسألة اهم بكثير قطعا ... وبالنسبة لك ايضا !

www.ibtesamah.com/vb

ـ لا ادرى كيف يمكن أن يكون للمسألة صلة بى !

ـ بل لها صلة بك ، ما دامت الظروف شاءت أن تكونى هنا وأن أكون انا هنا ، وأن يكون عندى ما اقوله لك

ـ اسمع يا فرانسوا ، اذا مضيت فى الكلام بهذا الشكل فلا بد أن اعتقد انك بعيد عن الصواب فى هذا اليوم

وكان يبدو عليها الانزعاج وهى تتكلم وتضحك ضحكة مغتصبة ، وكان صوت ضحكتها مثيرا للحواس اثارة غير مهذبة ، بل ان صوتها الاجش على العموم يجعله دائما يفكر فى الفراش

ـ ليس هذا وقت الهزر يا فرانسوا

ـ هذا صحيح ، فأمامك سهرة كبرى فى دوفيل الليلة ، وانا أمامى موعد عملى هام فى هذا الشارع

ـ وهو كذلك !

ـ أجل ، عندما انصرف من هنا سأذهب لمقابلة السيد جانينى

واغرب ما فى الامر انه فكر فى اختراع تلك القصة فى الدقائق القليلة التى مرت بين حديث التليفون وحضوره لمقابلتها ، بمجرد ان لاحظ اسم جانينى على اعلانات الدعاية الانتخابية مرشحا لعضوية البلدية

ـ أتعنى آرثر جانينى ؟

وانعقد حاجباها قليلا ، وكانا كلاهما واقفين ، ونوافذ حجرة التدخين مقفلة بالخشب والزجاج والبساط مطوى بجوار الحائط ، وهى متكئة على طرف المائدة وقد بدا عليها انها لا تتعجل الخروج ، ولما وجدته صامتا ، استحثته على الكلام بحذر موروث عن أبيها المرابى ولا شك

ـ هل عرض عليك وظيفة فى متجره بشارع بوتشى ؟

والواقع انه لم يكن فكر فى جميع تفاصيل القصة حين اخترعها وهو قادم الى « كى مالاكى » ، فمن عادته حين ينسج أكاذيبه ان يخلطها ببعض الحقيقة ، وكل ما هناك انه تعود رسم خطط من هذا القبيل فى الشهور الاخيرة ، وكان يرسمها بحذق وبكل تفاصيلها ، ولكنه لم ينفذ منها شيئا

ونضرب مثلا بأحد زبائن الفتاة التى كان يسميها الجاويش ، وهى

www.ibtesamah.com/vb

احدى العاهرات الثلاث اللواتى يتخذن حانة بوبول مركزا مختارا لادارة أعمالهن، وكان هذا الرجل قد لفت نظره رغم كبر سنه بوجاهة مظهره وأناقة ثيابه ، وفى عروة سترته وردة جوقة الشرف وهو ينفرد بين زبائن تلك الفتاة بشدة حذره وتردده ، فكان يتبعها فى الذهاب والاياب الى الفندق الصغير على مسافة كافية ، وكانت الجاويش تقول عنه فى كل مرة وهى تشرب كاسها فى الحانة :

ـ هذا الوغد العجوز ! انه يدفع عشرة أضعاف أى عميل آخر ، ولكنى أتمنى فى كل مرة الا يعود ، انى لأعجب من أن يخرج مثل هذا التيس الى الدنيا ؟ انه منحل وفيه من ألوان الشذوذ ما يجعل جسمى يقشعر

ومن هنا بدأ يفكر جديا فى استغلال الرجل ، فلا شك ان له أسرة ، ومن المحتمل انه جد ، ويبدو عليه مظهر كبار رجال الاعمال ، وقد يكون رئيس مجلس ادارة شركة كبرى ، أو من كبار موظفى الدولة ، أو من كبار القضاة والمستشارين ، مثل المرحوم جده لكوان الكبير ، ومع هذا فهو شخص فاسق ، لديه من الرذائل ما يقشعر منه بدن مومس فاجرة صلبة العود مثل « الجاويش »

وبدأ فرانسوا يقول لنفسه :

ـ سأبدأ باقتفاء خطواته ، ولن يكون هذا عسيرا ، وعندما اكتشف محل سكنه ، سأشرع فى جمع المعلومات عنه ...

وكانت هذه القصص الخيالية مصحوبة لديه دائما بصور ذهنية فيتصور الرجل داخلا بيتا من بيوت شارع دومينيك مثلا ، وهو نفس الشارع الذى كان يعيش فيه جده الراحل

ـ ومتى عرفت شيئا عن حياته الخاصة ، سأتربص الى أن أراه فى المرة التالية خارجا من ذلك الفندق ، وسأكون فى غاية اللباقة ، لن أهدده صراحة ، بل سأرفع قبعتى وأقول له بكل أدب وتهذيب : « عفوك يا سيدى لانى تجاسرت على مخاطبتك هكذا فى الطريق ، ولكنى منذ زمن طويل متلهف غاية اللهفة على أن أعمل معك ، فرأيت أن انتهز هذه المناسبة السعيدة ... وأنا واثق كل الثقة (وعندئذ انظر نظرة ذات معنى الى ناحية ذلك الفندق سيء السمعة) أنا واثق إننا خلقنا كى يفهم كل منا الآخر تمام الفهم ! »

www.ibtesamah.com/vb

وذات مساء أقدم فعلا على تعقب خطوات الرجل ، ولكن المهمة لم تكن سهلة كما كان يتصور ، لأن الرجل استقل سيارة أجرة بعد مسافة قليلة ، بالقرب من محطة مونبرناس ، ولم يتح لفرانسوا أن يسمع العنوان الذى القى به الرجل الى السائق

وكان فى استطاعته طبعا ان يتعقب الرجل فى ليلة اخرى ، لأن ذلك الموضوع كان منذ زمن غير قصير ، ولكنه لم يفعل ، لأن تلك الخطط لم تكن قد استولت على تفكيره بعد ، وكان يمارسها لمجرد التلهى والتسلية ، فكان يثابر على تخيل تلك الاقاصيص والتفنن فيها

وكانت هناك قصص اخرى اشد سذاجة واشد هبوطا ، وهذا يدل على ان راؤول الذى يعتقد انه يعرف كل شىء كان حريا أن يدهش بل يذهل لو عرف جميع الاشياء التى كانت تختمر بذورها داخل راس شقيقه فرانسوا الذى ينعته بالسذاجة والجبن والخيبة !

ولم يكن راؤول وحده يجهل ما يدور فى ذهن فرانسوا ، فان رينيه أيضا لم تكن تدرى حقيقة هذا الرجل الخجول، ولكنها وقد بدأت ترتاب فيه ، راحت تحدثه عن وظيفة متجر البقالة الذى يملكه جانينى ، وكأنها لا تصدقه ، فقال لها ساخرا :

ـ أتتصورينني ابيع الرنجة والبسلة فى نفس المنطقة التى يمثلها اخى فى مجلس البلدية ؟

فعضت شفتها الغليظة الشهوانية عضة قوية اشعرته انه بدأ يكسب هذه الجولة ، وانه لم يعد رجل الامس وقد تحرر بموت جيرمين

www.ibtesamah.com/vb

كل شيء جديد

وجانيني رجلٌ مليء الجسم لا بالصغير ولا بالمتقدم فى السن ، يزعم احيانا انه من اصلٍ كورسيكى ، ويزعم احيانا اخرى انه من أصلٍ ايطالى ، وكان يردد دائما انه بدأ حياته غلاما يبيع الجيلاتى فى الشوارع صيفا ، ويبيع الكستناء الساخنة شتاء ، واكبر الظن ان هذا صحيح

وترقى من بائع جيلاتى الى ساق فى حانة للبيرة فى شارع سان ميشيل ، ثم فى ناد ليلى فى الشارع نفسه ، ثم صار قوادا لراقصات النادى ومومساته وجمع من ذلك راس ماله الذى دخلَ به ميدان التجارة

ولئن كان مسكن مارسيلَ فى « كى مالاكى » يمثل الجزء الانيق الثرى من حى سان جيرمان دى بريه ، فان متجر بقالة جانينى فى شارع بوتش يمثل الجمهور الفقير من شوارع ذلك الحى الخلفية ، والواقع ان متجره كان يجمع بين البقالة ومستحضرات الالبان والحانة والمقصف أو المطعم الرخيص

ولم يكن هذا وجه الطرافة فى متجر جانينى ، ذلك المتجر الذى اخذ ينمو بسرعة حتى ابتلع دكانين مجاورين له ، والدلائلُ كلها تشير الى انه سيبتلع فى القريب العاجل مجموعة اخرى من الدكاكين والمتجر عبارة عن بهو واحد واسع ، وواجهته كلها باب كبير مفتوح ، حتى كأنه جزء من الشارع ، والمتجر ملون بألوان صارخة وبه ضجة صاخبة باستمرار من الاصوات ومن الروائح . والزوجات الفقيرات والبوابون يتزاحمون جميعا بالمناكب

ـ ادفع أقلَ فى محلات جانينى ، وخذ الاحسن !

كان هذا هو الشعار المكتوب بجميع الالوان على جدران الحى ، وعلى رايات ملونة تخفق على واجهة المتجر

ـ اهالى سان جيرمان دى بريه امناء يثقُ بهم جانينى !

www.ibtesamah.com/vb

وكان هذا هو الشعار الثانى الذى تخفق به رايات اخرى ، وبأنوار النيون كتبت هذه العبارات على جدران المتجر الداخلية :

ـ اخدم نفسك بنفسك

ـ ليس لدينا وقت لمراقبتك !

ـ لسنا قلقين من جهة ذمتك !

ـ اعرف حسابك بنفسك وادفع عند الخروج !

وكانت المشتريات يقمن بوزن الاشـــياء بأنفسهن ، وينتقين على هواهن السمك وقطع اللحم ، وفوق كل شيء فى المتجر ورقة صغيرة تدل على ثمنه ، ومن الصباح الى المساء تصب مكبرات الصـــوت المزعجة موسيقى صاخبة ، تتوقف لحظات للاعلان عن الفرصـــة العظيمة اليوم فى محلات جانينى !

وجانينى نفسه بوجهه الضاحك ومزاحه وملاطفاته لا يكف عن الحركة فى المحلّ ، يمازح كل زبونة باسمها ، ولا يخلط بين الاسماء ، فكأنه ملك يوزع مكارمه بين رعيته ، فلا عجب أن يغدو محبوبا من هذا الشعب الساذج ، ومن هنا خطر له أن يرشح نفسه لعضوية مجلس البلدية عن هذه المنطقة ، ولا سيما أن بها عددا كبيرا من المنحدرين من أصل ايطالى ، وهو يعلم جيدا أن عضـــوية المجلس البلدى نافعة تجاريا واقتصاديا لمن يفوز بها

والواقع أن جانينى كان أخطر منافس للسيد مارسيل لـكوان ، حتى ان مارسيل انشأ قبل المعركة الانتخابية الجديدة بستة اشهر جريدة صغيرة للدعاية لنفسه كانت تكلفه مبلغـــا طائلا ، ردا على اعلانات الدعاية الملونة التى بدأ جانينى يلصقها على الجدران فى ارجاء المنطقة

وكان أول خاطر خطر لفرانســـوا حين راى جانينى يخطو هكذا نحو النجاح والمجد هو : ترى هل يفضل ابنه بوب أن يكون والده جانينى ؟

ان افكار فرانسوا حول جانينى اخذت تتبلور وتكتسب طابعا مميزا ، بحيث فتنته هذه الشخصية ، واخذ يتساءل فى نفســـه : لماذا لا ينشىء جانينى جريدة صغيرة للدعاية لانتخابه مثل ما فعل مارسيل ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ ان جانينى سيحتاج لادارة هذه الجريدة الى شخص متعلم يحذق الكتابة والتحرير ، وانا احمل البكالوريا ، وأعرف كيف أدبج المقالات ، وانها لهزيمة منكرة لمارسيل أن يوقع أخوه مقالات الدعاية الانتخابية لخصمه جانينى !

وتصور سحنة مارسيل وثورته ، وتهالكه عليه ليشترى سكوته !

ان الكلمة الآن له وزمام الموقف فى يده ، وهو يستطيع أن يقدم على أى شىء بعد ان أثار راؤول حميته ، وبعد أن تحرر بوفاة جيرمين ، نعم سيعرف كيف يساوم رينيه

▭

ـ كلا ياريتيه ، لا تفكير هناك فى أن أشتغل بائعا فى متجر جانينى ولا حتى كاتب حسابات لديه ، فأنت تعلمين جيدا أن لجانينى مطامع سياسية ، ويقال ان عضوية مجلس البلدية أربح بكثير من مقعد فى مجلس النواب ، بل وأربح من كرسى الوزارة ...

ـ انك تبالغ يا فرانسوا

وجلست على حرف المائدة ، فراح يرقب بهدوء اهتزازات ساقيها الناصعتين من خلف جوربها الشفاف ، وتناولت سيجارة من صندوقها الذهبى وأشعلتها بولاعة ذهبية ، ثم تداركت فقدمت اليه سيجارة ، واستطرد يحدثها :

ـ وجانينى رجل غير متعلم ، فلا يستطيع أن ينهض بأعباء الدعاية لنفسه ، ولا بد انه سمع عنى من بعض معارفى الذين حدثوه عن كفاءتى فى التحرير ، ولما كان يفكر فى انشاء جريدة للدعاية ...

ـ وهل ستوقع المقالات باسم فرانسوا لكوان ؟

ـ لم أقرر بعد هل أستخدم اسما مستعارا أو اسمى الحقيقى ، اننا لم نصل فى الاتفاق الى هذا الحد ، وهذا المساء سنتناقش فى هذه التفاصيل كلها بعد خروجى من هنا

ـ فهمت ...

ـ وها انت ترين ان وجود شقيقى فى الميدان السياسى لا يمكن أن يمنعنى من انتهاز فرصتى وكسب قوتى ، فلدى ابن وبنت وقد قاسيت مرارة الحاجة بما فيه الكفاية

ونهضت رينيه عن المائدة وذهبت الى البار فصبت لنفسها كأسا

www.ibtesamah.com/vb

ـ هذه فعلا اخبار هامة يا فرانسوا ، وللأسف ان مارسيل غير موجود هنا ليناقشك ويتباحث معك

ـ لا أرى يا رينيه ضرورة لوجود مارسيل اطلاقا

ـ اجلس يا فرانسوا وخذ راحتك فى الكلام

وجلست هى فى مقعد وثير ، فهل تراها تعمدت أن ينزلق ثوبها عن ركبتيها ؟ ورآها ترمقه بنظرات تريد بها أن تدرك ما وراءه ، ثم قالت :

ـ اعترف لك انى ظننتك سكرانا عندما حضرت ، وهذا امر لا يثير الدهشة بالنسبة لمن تلقى صدمة كبيرة كصدمتك

ـ لم أكن سكرانا

ـ اعرف هذا ، ولا اظن انك تكن محبة خالصة لجانينى ؟ فحينما تخير بينه وبين شقيقك ...

ـ ولكنى لا اكن محبة شديدة ايضا لاخى !

ـ ولا لى ايضا فيما اظن !

ـ بالنسبة لك المسألة مختلفة تماما !

ـ كم عرض عليك جانينى لتدير له الحملة الانتخابية ؟

ـ اننا لم نتفق على الشروط النهائية بعد ، ويجب أن تراعى يا رينيه اننى محتاج فورا لثياب جديدة ، ولتسديد ديونى ولثياب لابنى وبنتى ، كما انه لا يمكننى ان اظل ساكنا فى شارع حقير مثل شارع دى لامير ، انك شخصيا ابيت أن تضعى قدمك هناك ، وسيكون على بحكم مركزى الجديد ان استقبل الكثيرين من الناس

ـ وجنازة زوجتك ؟ الم يعلم جانينى بوفاتها بعد ؟

ـ لم يعلم بعد ، اسمعى يا رينيه ، أنت على عجل للسفر وكذلك انا ، وبمناسبة وفاة زوجتى ربما أجلت مناقشة التفاصيل مع جانينى ، واكتفيت بأخذ عشرة آلاف فرنك منه لنفقاتى العاجلة تحت الحساب ، وارجوك أن تبلغى يا رينيه اخى مارسيل انى آسف للظروف التى جعلتنى اقف ضده فى الانتخابات ، وقولى له ايضا انى سأحاول أن أترفق به ما استطعت !

وفى صمت اخرجت دفتر الشيكات وكتبت له شيكا بعشرة آلاف فرنك ، بقلمها الذهبى الثمين الذى يتسق مع علبة السجائر الذهبية

www.ibtesamah.com/vb

والولاعة الذهبية وساعة اليد الذهبية المرصعة بالماس

ـ هذا هو المبلغ يا فرانسوا ، وأظن انه لا حاجة بك للتفاوض مع جانيني ، ولك أن تخبره انك تفضل العمل مع أخيك فى جريدته الانتخابية ، وسأعود الى باريس لارتباطى بموعد مع طبيب الاسنان يوم الاربعاء ، فكلمنى بالتليفون فى الساعة الرابعة لنتقابل

وهكذا انتهت الجولة ، وانصرف وفى جيبه عشرة آلاف فرنك !

▭

أمر فرانسوا التاكسى بالوقوف على ناصية شارع مون بارناس ، أمام شرفة مقهى الدوم ، حيث لم يكن للجالسين ما يشغلهم وهم يحتسون كئوسهم عن النظر ومراقبة المارة ، ثم اتجه منحرفا على قدميه الى شارع دى لامير

وكانت فى يده لفافة كبيرة يحملها من خيوطها ، وفوق ورقها البنى اللون اسم متجر كبير فى شارع سان ميشيل ، وفى هذه اللفافة حذاء جديد اشتراه لابنه بوب ، لانه تذكر بوب كما تذكر نفسه ، بل انه كان يفكر فى بوب طول الوقت ، فكر فيه وهو يجرب بذلته الجديدة فى ذلك المتجر الانيق الذى وقع عليه اختياره منذ سنوات وقرر فى احلامه ومشروعاته أن يشترى منه ملابسه حين تتحسن الاحوال

وحينما كان يتطلع الى نفسه فى المرآة المثلثة الاضلاع ، افسدت عليه لذته مسألة الشيك لحظة عابرة ، ثم تملكه شىء من الخوف أمام الخزينة خشية أن يظنوه نصابا !

وكانت فكرته الاولى أن يبتاع بذلة سوداء ، بذلة حداد حقيقية ، تجعله فى نظر بوب ، وفى نظر شارع دى لامير كله ، وفى نظر راؤول ومارسيل كذلك ، يبدو ارملا موقرا حقا ، ولكنه راى فى واجهة المتجر بذلة رمادية اللون من قماش الفانلة الرفيع ، غاية فى النعومة والرقة ، من النوع الذى طالما حلم بارتدائه منذ كان فى سن الثامنة عشرة ، وقال للبائع :

ـ ولكنى للأسف الشديد فى حالة حداد !

ـ فليسمح لى سيدى أن ابدى رأيى الشخصى فى الموضوع ، اننا الآن فى منتصف الصيف ، ومن المحتمل أن تسافر قريبا فى عطلتك السنوية بسيارتك ، وفى اعتقادى أن هذه البذلة الرمادية

www.ibtesamah.com/vb

الانيقة المحتشمة ، اذا ما ارتديت معها قبعة سوداء وقميصا أبيض ناصعا ، ورباط عنق أسود ، ستضفى عليك سيماء الحداد بأناقة واعتدال ، ففى هذه الايام ياسيدى لا يرتدى أهل الطبقة الرفيعة ملابس الحداد الكاملة كما كانوا يفعلون فى السنوات الماضية

وكما كان فرانسوا لا بالبدين ولا بالنحيل ، فالملابس الجاهزة تناسبه كل المناسبة ، قال له البائع بعد أن ارتداها :

ـ اظنك ياسيدى ستحتفظ بها على جسمك ؟ سأرسل البذلة القديمة الى عنوانك ، ان لم تفضل أن تأخذها معك

ـ بل سأعطيك عنوانى

وبعدئذ حلت اللحظة السخيفة التى كان يتوجس منها منذ دخوله الى المتجر ، وعند الخزينة قدم الشيك الى العامل الذى نظر فيه بشىء من الحرج ، وبدأ البائع يندم على انه اقترح عليه الاحتفاظ بالبذلة على جسمه ، وقال الرجل :

ـ اتسمح لى بلحظة واحدة ؟ يجب أن ارجع الى المدير

وبطبيعة الحال كان يبدو من الغريب أن يأتى شخص الى متجر كبير ليشترى بذلة بعد أن اغلقت البنوك أبوابها وليس معه الا شيك بعشرة آلاف فرنك ، ولا سيما وهو لم يكن يرتدى الا بذلة رثة تقريبا ، لا يجدى تركها فى المحل

وكان المدير رجلا بدينا قصيرا ، يرتدى آخر طراز فى أزياء الرجال وتفوح منه الروائح العطرية الفاخرة ، وفى لسانه لثغة واضحة ، وقلب الرجل الشيك بطنا لظهر وظهرا لبطن ، ثم سأله أخيرا فى تهذيب ولكن بدون حماس :

ـ السيدة موقعة الشيك لديها تليفون ؟

ـ لديها تليفون ، ولكنها غادرت باريس الى دوفيل منذ برهة وهى زوجة أخى ، زوجة عضو مجلس البلدية

ـ هل انت شقيق عضو مجلس البلدية ؟ لقد لاحظت انك تحمل نفس الاسم : لكوان

ـ انا اخوه

ـ هل لى أن أطلب منك اثبات شخصية ؟

فاحمر وجه فرانسوا وهو يخرج أوراقه من حافظته البالية ،

www.ibtesamah.com/vb

ونظر مدير المحل في اثبات الشخصية بامعان ثم رده الى فرانسوا قائلا :

ـ ليس في استطاعتنا ان نصرف لك المبلغ كله الليلة ، ولكن سأقدم لك ايصالا به ، فاذا تكرمت بالحضور غدا بعد مواعيد فتح البنوك سندفع لك الباقي بكل ارتياح

شعر فرانسوا انه لابد من ايضاح ، وقال :

ـ لقد حدثت وفاة في البيت ، ولهذا السبب كنت متعجلا لشراء هذه الملابس بمناسبة الحداد

ونظر الرجل الى قبعته السوداء ورباط عنقه الاسود الذي بدا واضحا فوق القميص الابيض الناصع ، وقال :

ـ زوجتك ؟

ـ نعم زوجتي

▭

واعطوه الف فرنك من قيمة الشيك نقدا ، وكانت الساعة متأخرة ، لقد أضاع وقتا كثيرا وكان هذا يضايقه ، لأنه متلهف على العودة الى بوب ، ولما كان هناك متجر للأحذية بجوار المتجر الذي اشترى منه البذلة ، فقد اشترى لنفسه حذاء اسود ، ثم اشترى للغلام ، حذاء آخر ، لانه يعرف مقاسه ، وقد أكدوا له في المتجر انه يستطيع استبداله اذا لم يجده مناسبا ، وفي الوقت نفسه اشترى جوارب سوداء ، ورباط عنق اسود آخر ومناديل بيضاء ذات حافة سوداء

ولم يحدث له أن اشترى كل تلك الاشياء دفعة واحدة ، وظل يعد الدقائق ، لانه يجب أن يعد كذلك ترتيبات الجنازة ، ولكن هذه الترتيبات يمكن الاهتمام بها فيما بعد لأن الحانوتية لا يغلقون أبوابهم المنكودة ليلا ونهارا

لقد بدأ شعور عجيب يراوده ممزوجا بدوار خفيف ، واخذت انفاسه تتلاحق ، ومع هذا حث الخطى كي يبحث عن سيارة تاكسي تأخذه الى البيت ، وان كان يعلم ان هذه العلامات تدل على حاجته الى تناول كأس ، ومن يدري ، فربما انتهز فرصة هذا الميلاد الجديد كي يتوقف عن الشراب اطلاقا !

ولولا ان بوب في البيت الآن ينتظر عودته لمر على جميع التجار

www.ibtesamah.com/vb

الذين لهم فى ذمته حسابات وديون ممطولة فى شـــارع دى لامير ، وفى تلك الديون دفعة واحدة ، فانه كان يتعذب عذابا شـــديدا لتفكيره فى انهم يظنونه صعلوكا معدما عاجزا عن دفع ثمن طعامه ونفقات بيته ، ولـكن بوب كان فى الانتظار

ان ساعة العشاء قد اقتربت ، وكان الغلام مغرما بأكل الجنبرى المحمر مع المايونيز ، وهذا الطبق معروض بشكل مغر باستمرار فى واجهة ذلك المقصف القريب من البيت

ولا بد أن أصحاب الدكاكين فى الشارع كانوا يرقبونه باستغراب عندما مر بهم وقد أصبح مختلفا اشد الاختلاف عن السيد لـكوان الرث الثياب الذى عرفوه منذ بضع ساعات

أجل ، انهم لم يعرفوا بميلاده الجديد بعد ، وكم يتمنى لو تخلص من اعادة اجترار الهم والتوجس من راى الناس ، فيعود طفلا لاهيا غير مسئول عن شيء

ووقف عند المقصف وقال للبائع :

ـ جنبرى محمر بالمايونيز من فضلك

ـ كم قطعة ؟

وفكر قليلا ثم اجاب :

ـ اربع قطع !

قطعتان لـكل منهما ، هذا كاف كى تطفر دموع الفرح الى عينى بوب الذى ظل يطلب من هذا الصنف بضعة أشهر بلا جدوى

ـ ومن فضلك اريد كشف حسابى القديم ايضا لأسدده الآن

وفكر ايضا أن يشترى تورتة محشوة بالقشدة لأنه مدين ايضا لدكان الحلوانى على الناصية الاخرى ، ولـكنه على عجل من امره ، ثم ان دفع الحساب بالنهار سيكون ملفتا للنظر اكثر منه الآن ، وهو يريد أن يتمتع بلحظة الانتصار هذه من شهور المذلة والفقر الطويلة يريد ان يعرفوا جميعا انه لم يعد ذلك الموظف المتعطل عن العمل الذى يستجدى فتح الحساب ويطلب القروض فى كل مكان

وفجأة بدا له شارع دى لامير اقرب الى نفسه واحفل بالمودة ، كأنه بمن فيه من اخلاط الناس اكثر حرية من غيره من شوارع الحى ، واخذ يسأل نفسه ان كان من الضرورى أن ينتقل من هذا الشارع

www.ibtesamah.com/vb

الذى تغير احساسه به بتغير ظروفه ونفسيته

ونظر من افريز الشـــارع الى نوافذ مسكنه المفتوحة فلم ير أحدا ، ومر بغرفة البوابة وهو يقول لنفسه :

ــ انها لا تعلم بعد

ولما كان دفع جميع الايجارات المتأخرة للبوابة سيستغرق وقتـا طويلا جدا فقد رأى أن يؤجل ذلك الى الصباح ، والى جانب هذا الاعتبار ، لم يكن فى نيته أن يبدد كل مافى جيبه من النقود فى هـذا البند ، وسوف يكون ذلك انتقاما من البوابة مدام بوساك ، التى ستحرم بعد اليوم من لذة سوء معاملته ، فان تنغيص الناس مسألة ضرورية جدا لهذه البوابة ، كما كان ظلم الاقدار ضروريا جدا لوالدته

وصعد السلم ثلاثا ثلاثا ، وطفرت الدموع الى عينيه عندما اقترب من المسكن ، ولم تكن هذه الدموع دموع الحزن كما قد يتبادر الى الذهن عن رجل أرمل ماتت زوجته اليوم

واختلجت يداه وهو يضع المفتاح فى قفل الباب ، وتخاذلت ساقاه ثم دخل وهو يطوح اللفافات بيده اليسرى ، واذهله أن يسـمع اصواتا ، وان بوب لم يأت مسرعا ليقابله كما توقع ، فاخترق فرانسوا البهو الصغير وقد توزعه القلق وخيبة الامل ، ثم وقف ينظر ببرود الى قاعة المائدة التى امتلأت باشعة الشمس الغاربة

ونظر اليه من غير ان يتكلم ، وكان بوب جالسا الى المائدة وقد ربط حول عنقه فوطة بيضاء ، وأمامه تورتة محشوة بالقشدة أما راؤول فكان مشمر الكمين الى ما فوق المرفق ، وقد استلقى مستريحا فى مقعد كبير وفى يده زجاجة كونياك ، وفى فمه سيجار اسود ضخم يدخنه بشراهة

وبدلا من أن يستمرىء نظرة الاعجاب والدهشة التى كان يمنى النفس بها ، اتجهت عيناه بصورة آلية نحو شـقيقه ، لأن راؤول ادرك الحالة الجديدة من أول وهلة وظهر ذلك فى نظراته فقـال له فرانسوا فى برود :

ــ لم أتوقع أن أجدك هنا

ــ كنت أؤنس وحدة ابن أخى منذ ساعة على الاقل ، وخرجنـا معا لشراء اشياء قليلة من دكاكين المنطقة ، ولم يكن راغبا فى الخروج

www.ibtesamah.com/vb

معى مصرا على انه يريد أن يبقى هنا فى انتظارك ، ولا يستطيع أن يخرج لأى سبب

فالتفت فرانسوا الى بوب وقال :

ـ لقد أحضرت لك جنبريا محمرا بالمايونيز

وفطن الفتى الى خيبة أمل أبيه ، فبادر يظهر الحماسة ، مع انه كان من الواضح جدا انه شبع من التورتة وملأ بطنـــه ، ولم يعد يشعر بالجوع أو القابلية لمزيد من الاكل

ـ شكرا لك يا أبى ، انى مغرم بهذا الجنبرى ، ألف شكر !

ولم يجسر المسكين على الاســتمرار فى أكل التورتة ، وفى الوقت نفسه لم يجسر أيضا على مغادرة المائدة ، واستطرد فرانسوا :

ـ واشتريت لك حذاء أيضا

ـ بنعل كريب ؟

ـ نفس النوع الذى طالما طلبته منى

ـ هل أستطيع أن أراه الآن ؟

ففك فرانسوا اللفافة بعناية ، ولـكن ليس بالانطـلاق الذى كان حريا أن يفعله به ، لو انهما كانا وحدهما

ولم يقل راؤول شيئا ، ولـكنه كان يرقب الموقف بابتســامة غريبة ، ولم تكن بابتسامته المعهودة ، لأنه فى الواقع لم يكن يشعر بارتيـــاح مطلق لانه لا يريد أن يكون غرا تخدعه المظاهر ، وكان راؤول يزعم لنفسه دائما انه لا يوجد فى الدنيا كلها شىء يستعصى على فهمه ، وفى حالة فرانسوا ما لا يستطيع فهمه

ولما حرك فرانسوا زجاجة الـكونياك التى أحضرها أخوه ونحاها جانبا ، ظهر الضيق على راؤول وقال :

ـ ظننتك راغبا فى احتساء كأس

ـ لا أشعر برغبة فى الشرب

وقبل أن يجيب راؤول معلقا على هذا الحزم الجديد ، صاح بوب متهللا :

ـ ياله من حذاء يا ابى ! هل اجربه ؟

ـ اذهب وجربه فى حجرتك

فقال بوب موجها الـكلام الى راؤول :

www.ibtesamah.com/vb

ـ سآكلُ بقية التورتة فيما بعد

وكان واضحا ان الغلام لم يعد خائفا من عمه ، ويظهر انهما عقدا صلحا ، فى غيبته ، ولهذا يتساءل فرانسوا ماذا عسى أن يكون أخوه قد أخبر الغلام ؟

ومع ان باب حجرة النوم لم يكن مغلقا تماما على الغلام ، فان راؤول صاح بلهجة الارتياح :

ـ واخيرا ماتت !

ولم ينتظر ليسمع ما يمكن ان يقوله اخوه بهذا الخصوص ، فانتقل قفزا الى الموضوع الاهم ...

ـ هل قابلت مارسيل ؟

واستقرت نظرته لحظة على البذلة الجديدة والمشتريات الفاخرة

ـ كلا ، ولم أحاول أن اقابله

ولم تخطر رينيه ببال راؤول ، ولذا راح يشحذ ذهنه عبثا باحثا عن حل هذا اللغز ، واذا بوب يصيح :

ـ انظر يا ابى ، الحذاء مضبوط جدا ، ليس ضيقا ولا يؤلمنى ، فهل أستطيع الاحتفاظ به فى قدمى الى وقت النوم ؟

ـ تعال هنا ، اقترب يا صغيرى

وكان وجود راؤول عند وصوله الى البيت قد افسد خططه ، فانه تذكر وهو راجع الى البيت انه لم يتحدث الى ابنه عن وفاة أمه باللهجة الجدية الخطيرة المناسبة ، وقد اعتزم الآن ان يفعل ذلك ، بعد أن انتهت ضجة الحذاء والجنبرى والتورتة :

ـ انك الآن رجل صغير يا بوب ، أليس كذلك ؟ وقد عشنا معا فى سلام ووئام ، أليس كذلك ؟ لم نكن شقيين بالحياة معا ، أليس كذلك ؟

ـ طبعا يا ابى

وصب راؤول لنفسه كأسا اخرى ثم اتجه الى النافذة ولكنه أولاها ظهره ووقف ينظر اليهما برهة ، ثم تشاغل بالنظر الى الشارع

ـ . . . . والآن يا بوب ، منذ اليوم سنكون وحدنا معا نحن الاثنين فقط ، وانا اعدك أن أبذل خير ما فى وسعى كى أسد الفراغ

www.ibtesamah.com/vb

الذى تركته والدتك

ونظر الغلام الى ابيه بكل هدوء ، ثم قال بصوت بدا خلوا من كل انفعال :

ـ انى اعلم ماذا تعنى ... ماتت امى

ـ ماتت يابوب ، وكنت انا مضطربا ومشغولا فلم استطع ان احدثك فى هذا الخصوص كما كان ينبغى

وكانت الخطة التى رسمها فرانسوا فى راسه من قبل ان يجذب ابنه الى احضانه فى تلك اللحظة ، ولكن الصغير اطرق مفكرا رزينا ناظرا الى حذائه الجديد ، ثم اتجه ببط نحو حجرته

ـ هل انت حزين للغاية وشقى يابوب ؟

ـ كلا ...

وفى هذه المرة اغلق الباب وراءه تماما ، وعندئذ استدار راؤول وامعن النظر فى اخيه برهة ، وكانما اكتشف تلك الحقيقة لتوه ، اذ صاح :

ـ قصارى القول انك الآن ارمل !

ـ هل قال لك الغلام شيئا ؟

ـ عن ماذا ؟

ـ لست ادرى ، عن أمه ؟ عنى ؟

ـ اننا لم نتحدث عنك ، فقد قال لى ان جيرمين ماتت ، ثم تكلمنا معا عن غابات افريقا ، وعن الفيلة ، وعن الاسود ، وثعابين البوا

وشعر فرانسوا بضيق يستولى عليه ، ضيق شبيه بالغيرة

ـ الم يكن خائفا منك قليلا عندما جئت ؟

ـ انك كنت تحب ان يظل الغلام خائفا منى ، اليس كذلك ؟ انك ساخط حقا الآن لاننا اصبحنا اصدقاء

ـ بما انك موجود هنا الآن فانى سأطلب منك خدمة ، انى لااحب ان اترك بوب وحده هذا المساء ، ولكن ترتيبات الجنازة يجب ان تتم الليلة

ـ الم ترتبها بعد ؟

ـ لم يتسع لى الوقت

ولا بد ان راؤول عرف من الغلام فى اى ساعة غادر فرانسوا

www.ibtesamah.com/vb

البيت ، وطبعا كان لابد من شراء البذلة وسائر الاشياء الاخرى ، وكان هناك المستشفى وبقية الاجراءات الرسمية ، ولكن اين قضى بقية الوقت ؟ هذا هو السؤال الذى القاه راؤول على نفسه ليعرف من اين استطاع اخوه ان يحصل على المال

ـ هل ستحضر الجثة الى هنا ؟

ونظر فرانسوا الى حجرة المائدة من حوله مترددا ، كلا ! لم يكن من الممكن بعدها ان يعيش هنا مع بوب وينامان ويأكلان بالقرب من الجثة او بالقرب من موضع تذكارها

ـ ارى من المستحسن الا افعل ولكن يجب وضع اشرطة سوداء على باب المدخل ، وان يبدأ موكب الجنازة من امام البيت

ثم اخرج حافظة نقوده ، وتركها مفتوحة كى يرى اخوه النقود

ـ وفى حالة احتياجك الى دفع شىء مقدما ...

ـ دع عنك هذا ! انا اعلم ان معك نقودا

وفعلا كان الواقف امامه الآن رجل جديد ، لا مجرد بذلة جديدة ولم يسعد ذلك راؤول لانه لم يستطع ان يفهم السر ، وراوده القلق

ـ لا اظن انه يضايقك أن تنوب عنى فى ترتيب معدات الجنازة ، وتستطيع يا راؤول أن تقرر من تلقاء نفسك ما تراه مناسبا ، اجل انى لا أنوى أن اتظاهر امام الناس ، ولكنى اريد ان افعل الشىء المناسب

ـ صلاة فى الكنيسة ؟

ـ طبعا ، فان جيرمين كانت تقية جدا

وتنهد راؤول وهو يسدل اكمام قميصه وقال :

ـ سأذهب ، وربما مررت هنا بعد ذلك لحظة ، فانى استطيع أن ارى من الشارع ان كان النور موقدا فى المسكن ام لا

وظل واقفا لحظة ينظر الى اخيه ، وفرانسوا يعجب ما الذى يزمع أن يقوله له وأخيرا قال راؤول :

اذن لم تكن المسألة صعبة

ـ ماذا ؟ اتعنى جيرمين ؟

ـ لست اعنى جيرمين ، لا تحاول ان تراوغنى ، ولكن لا بأس يا صغيرى ، الى اللقاء !

www.ibtesamah.com/vb

وكانت فى صوته رنة تهديد ، لانه كان مستاء ، ولـكنه لم يعرف بالضبط ماذا يدور فى راس راؤول

ولما خفت وقع أقدام راؤول على السلم ، ظل فرانسوا واقفا لحظة لا يتحرك بجوار المائدة التى تبعثرت عليها الاشياء ، ثم اتجه نحو حجرة النوم وفتح الباب ببطء

وكان ابنه جالسا على حرف الفراش منهمكا فى فحص مسـدس لعبة يشبه المسدسات الحقيقية تمام الشبه ، وكان من نافلة القول سؤال بوب عن مصدره ، ومع هذا سأله فرانسوا :

ـ من اعطاك هذا ؟

ـ عمى راؤول ، هلّ انصرف ؟

ـ نعم

ـ لقد قال لى انه ربما اخذنى معه الى السينما ، هذا ان لم يكن لديك مانع طبعا

ـ فى ظروف الحداد لا يذهب الناس الى السينما يا بوب

ـ وهو كذلك ، انى آسف

ـ تعال الآن وكل

ـ سأرتب المائدة واعدها

ووضع المسدس فى أسف واضح ، ثم شرع يعد المائدة لشخصين ، أما الأب فأشعل نور المطبخ حيث خيم الظلام ، ووضع على النار ماء لصنع القهوة ، وعندئذ سمع بوب يقول :

ـ هذه بذلة فخمة

ـ هلّ تعجبك ؟

ـ نعم ، انى أحب أن اراك أنيقا هكذا

وصمت الغلام برهة ثم استطرد :

ـ هلّ سأحصلّ انا ايضا على بذلة جديدة ؟

ـ اجلّ

ـ قبلّ الجنازة ؟

ـ سنذهب معا لنشتريها غدا

ـ بذلة سوداء ؟

ولم يجب فرانسوا ، فقال بوب :

www.ibtesamah.com/vb

ـ متى سنذهب لنرى أمى ؟ هلْ تركوها فى حجرتها نفسها ؟
ـ لا أدرى يا بوب
ـ آسف يا أبى

وكانت هذه ثانى مرة فى خمس دقائق يبدى فيها الغلام أسفه ، فتذكر الأب مبلغ حرص الصغير على عدم ايلام أحد ، ألم يكن هـذا هو السبب فى آله لانصراف راؤول بهذه السرعة ؟ انه لم يكن يريد عمه أن ينصرف قبل أن يشكره على هداياه

ـ هل بقيت لديك شهية يا بوب لأكل الجنبرى بعد أكل التورتة ؟
ـ نعم ، ولـكن ربما أكلت قطعـة واحـدة فقط واحتفظت بالاخرى الى الغد ، ان العم راؤول أرادنى على أن آكلْ التورتة فى الحال ولم أحب أن أخالفه
ـ لا بأس
ـ هلْ أنت شاعر بالشقاء يا أبى ؟

واوشك فرانسوا أن يقول لا ، لأنه ظن ان الغـلام سأله ذلك السؤالْ بخصوص الجنبرى والتورتة ، بيـد انه أدرك فى الوقت المناسب ان الغلام يعنى وفاة جيرمين

ـ انها صدمة كبيرة يا بوب ، وسأبذل كل ما فى وسعى لأمنع عنك الشقاء

فقال الغلام بجفاء وهو يلمس ذراع ابيه

ـ وانا كذلك يا أبى
ـ والآن هيا نأكلْ
ـ هيا

وسأله فرانسوا بعد برهة :

ـ هلْ استطبته ؟
ـ نعم ، فأنا لم أذقه منذ أكثر من سنة

وأخيرا ... بعد صمت طويلْ قالْ الغلام بتردد :

ـ هلْ رأيت مسدسى الجديد ؟ انه مثلْ المسدسات الحقيقية تماما فهو افضلْ من مسدس جستين ابن السمكرى

وكانت ظلال المساء القاتمة قد بدأت تملأ أركان الحجرة ، مع ان النوافذ نفسها كانت تعكس آخر أشـعة الغروب الحمراء المتوهجة ،

www.ibtesamah.com/vb

وقد جلس الاثنان الى المائدة التى يغطيهـــا المفرش الابيض ، يأكلان ببطء والاصوات الغامضـــة الغريبة تصـــعد اليهما من الشارع ، والنسمات تعبث بالستائر

ــ ارجو الا يضايقك يا ابى انى لم اعد جائعا

ولم يحاول فى هذه المرة ان يزعم ان معدته تؤلمه ، وفرانسوا نفسه لم يعد يشعر بالجوع ، مع انه شغوف بالجنبرى بالمايونيز شغف ابنه بذلك الطعام تماما ، ورغم هذا اكل طبقه من غير ان يستسيغه كما كان متوقعا ، وحتى زجاجة الـكونياك فوق البوفيه اخفقت فى اغرائه ، فهل تراه فى كيانه الجديد اصبح زاهدا فى الشراب الى الابد؟

وكان قد خلع ســـترته الجديدة ورباط عنقه وربط فوطته حول رقبته ليتجنب تلطيخ قميصه الابيض الناصع ، وكان حريصا على عدم تكسير بنطلونه الجديد

ــ اذهب انت الى فراشك الآن يا بوب ، وسأغسل انا الاطباق فقد غسلت انت اطباق الغداء

فقال الغلام موافقا بلهجة الرجولة :

ــ غدا سيكون دورى ، ولـكن اتسمح لى بخمس دقائق فقط الهو فيها بمسدسى ؟

ونظر فرانسوا من النافذة ليتطلع الى ساعة باشون الـكبيرة ، فوجدها عادت الى الدوران من جديد ، فقال همسا :

ــ ماتت جيرمين !

www.ibtesamah.com/vb

فات الأوان

قال راؤول انه قد يمر فى الليل : وندم فرانسوا على انه وافقه ، فقد كان من الممكن ان يقول له بكل بساطة انه يريد ان يأوى الى فراشه الليلة مبكرا ، اما الآن فهو مضطر ان ينتظر راؤول بالرغم من رغبته العاتية فى الخروج من البيت ، تلك الرغبة التى تملكته فى لحظة اطباق الليل اطباقا تاما على المسكن

وكان بوب نائما ، وبوب نادرا ما يستيقظ اثناء الليل ولكن فى حالة يقظته ، يستطيع فرانسوا ان يترك له مذكرة صغيرة فى موضع لابد ان يلفت نظر الغلام ، ليقول له :

ـ لا تفزع اضطررت للخروج برهة ، عد الى النوم

فمنذ غادرت جيرمين البيت تعود الاثنان ان يتخاطبا عن طريق هذه المذكرات ، واصبح بوب الصغير متعودا ان يمكث فى البيت وحده واصبح فى استطاعته ايضا ان يعد وجباته ان لزم الامر بنفسه ، وكثيرا ما وجد فرانسوا المائدة معدة عند عودته الى البيت

وكان مفزعا له فى اول يوم من ايام غربته ان يجد نفسه شاعرا بالاثم نحو ابنه ، وهو عين الشعور بالاثم الذى شعر به دواما نحو زوجته الراحلة ، وفرح لموتها كى يتحرر من هذا الشعور

والحقيقة انه منذ برهة ، حينما كان مطلا من النافذة لمح احدى فتيات الليل تتمشى فى الشارع ، ووجد نفسه تتحرك حركة جياشة لم تلبث ان تبلورت فى شخص امراة معينة ، وشرع يتذكر جميع التفاصيل الدقيقة وكأنه مجنون ، انها تفاصيل تتعلق بحانة بوبول فى شارع السرور ، حيث الفتيات المحترفات الثلاث اللواتى اتخذن من تلك الحانة مركزا لادارة اعمالهن ، يرابطن فيها او يضربن الطوار امامها ذهابا وايابا ، ما لم تكن الواحدة منهن متوارية فى ذلك الفندق الحقير المريب القريب من الحانة

وكانت احداهن فيفيان ، ولم يسبق له ان تحدث اليها ، وهو

www.ibtesamah.com/vb

لا يعرف اسمها الا انه سمع الخمار بوبول يناديها به لانها كانت مشهورة جدا فى الحانة الصغيرة ، وفى فيفيان هذه تركزت رغبته التى طرأت عليه فجأة وهو متخيل ثوبها الازرق الانيق وقبعتها الحمراء الصغيرة

ان راؤول من المحتمـــل ان عاد أن يعود مخمورا ، ألم يكن ثملا بعض الشيء فى العصر ، حينما كان فى صحبة بوب ؟ فلا شـــك ان راؤول مدمن للخمر ، وهو فى مرحلة الاقبـــال على الـكأس بمجرد اليقظة فى الصباح

وحتى ان لم يجد نورا ظاهرا من النافذة ، فمن المحتمل جدا أن يصعد السلالم ويظل يطرق الباب ويثير ضجة بين الجيران ، الى أن يصحو بوب ويفتح له الباب ، وعندما يعود فرانسوا سوف يسـأله راؤول اين كان وهو الذى زعم انه لا يريد أن يترك بوب وحـــده الليلة ، ولا شك انه سيفطن الى الحقيقة ، ومعنى هذا ان فرانسوا لم يزل يشعر بالخجل والحياء من رغباته الحيوانية الغريزية

ولـكن رغبته لم تكن ذات طابع جنسى ، فكل ما كان يريده الآن ان أمكن هو رد اعتباره فى نظر فيفيان حتى تعرف انه لم يعد ذلك الرجل الرث الثياب القليل المال الذى كان يجلس كل ليـلة فى ركن الحانة لينظر اليها عن بعد فى انكماش

وعاد يطل من النافذة الى الشـــارع الذى تناثرت فيه اضـــواء النيون الملونة ، وشعر باغراء شـــديد ، يجب الا تمر ليلة تحرره الاولى من غير أن يراه هذا الشارع ويعرف بميلاده الجديد وشخصيته الجديدة ، انه شديد اللهفة أن يبدأ شخصيته الجديدة فى الظهور فى اطار هذا الشارع ، لأنه ظل طويلا جدا متواريا متخاذلا ، ان حركة خروجه الليلة واعلانه عن ميلاده الجديد اصبحت ضرورة جســدية ومعنوية ، والا اختنق ، ان شخصيته الجديدة كالجنين الذى أتم مدة حمله فاما أن يخرج من الاحشاء الى النور الآن ، واما أن يختنق

ومد يده فتناول قصاصة ورق مزقها من الـكراسة وخط فوقها بضعة سطور ليراها ابنه اذا حدث ان استيقظ فى الليل ثم أسرع يهبط السلالم وهو يخشى أن يصادفه راؤول قادما ، ولما وصل الى الشارع نظر الى فوق ليتأكد من انه أطفأ جميع الانوار ، وعندئذ

www.ibtesamah.com/vb

أسرع يبتعد ، وهو يشعر بنوع من الثقل السخيف فوق صدره ، وهو ثقل من نفس نوع احساسه وهو فى سيارة التاكسى بأنه تأخر على بوب الذى ينتظره ، بيد أن الضيق فى هذه المرة كان أشد انه بقية شخصيته القديمة التى تشعر بالاثم والذنب

وأوشك وهو يمد الخطى أن يصطدم بالفتاة التى يسميها الجاويش، وكانت تتمشى أمام الحانة ، فوقفت فجأة لتحملق فى منظره بدهشة فان هذه الساعة لم تكن ساعته المعتادة للحضور الى الحانة ، وملابسه الجديدة الانيقة كانت غريبة عليها أيضا

وقرر الا يشرب خمرا ، ولما دخل الحانة لم يجلس فى ركنه المعهود بل ظل واقفا أمام البار ، ومد بوبول الذى ظهرت عليه الدهشة ايضا يده الى زجاجة الكلفادوس ، ولكن فرانسوا قال له بحزم :

ـ زجاجة صغيرة من مياه فيشى !

ثم سأل بعد برهة بصوت استغربه من نفسه لجرأته

ـ هل فيفيان هنا ؟

ـ ستحضر بعد قليل

ثم مال بوبول الى الامام ليطل من النافذة وصاح

ـ ها هى قادمة ، خارجة لتوها من الفندق !

ولمح ظل رجل يتحرك فى الظلام ويختفى فى زحام الناس خارجا من باب الفندق ، وبهدوء واناة اقبلت الفتاة الهبقاء ذات الثوب الازرق والقبعة الحمراء ، وأدهشها أن تراه جالسا هذه الليلة الى البار ، ونظر اليها على الفور نظرة خاصة هى فى الواقع نوع من اللغة الرمزية معناها :

ـ سأقابلك فى الخارج

وباختلاجة من جفنيها أشعرته انها فهمت ، وقالت :

ـ كأس من شراب النعناع يا بوبول

ودفع الحساب ، ثم غادر الحانة ووقف عن كثب منها فى بقعة مظلمة بعض الشىء بالقرب من باب الفندق

ترى ماذا كانت تقول لبوبول ؟ ترى ماذا كان تعليق بوبول ؟ انهما من غير شك كانا يتكلمان عنه ، اذ انهما لاحظا يقينا بذلته الجديدة التى تفضل بكثير بذلته القديمة ، ولاحظا أيضا القبعة السوداء ورباط

www.ibtesamah.com/vb

العنق الاسود الذى يعلن عن نفسه فوق القميص الابيض الناصع
وراى الفتـــاة الجاويش تقف بالقرب منه فجاة ، بيد ان فيفيان خرجت فى تلك اللحظة من باب الحانة وقالت لها ببساطة :

ـ انه لى

ثم قالت له وهى تسير نحو باب الفندق :

ـ هلّ ستأتى ؟

وذهلّ لانه لم يتوقع أن يحدث ذلك على هذا النحو ، وربما كان راؤول فى تلكَ اللحظة يطرق بشدة باب البيت كى يوقظ بوب من نومه ، ولاحظ وهى تصعد السلم أمامه أن جوربها من النوع الفاخر وان مشيتها وشكلها يدلان على الهدوء والثقة بالنفس ، فمن لايعرفها يظنها من بنات الاسر الـكريمة لما تبديه من الاحتشام والرزانة

وفتح حافظة نقوده ودفع اليها بورقة ذات خمســـين فرنكا ، فرفعت عينيها اليه بدهشة وسألته :

ـ هلّ تنوى ان تمضى الليلة هنا ؟

ـ كلا

وعندما بدأت تخلع ثوبها الازرق شعر بالثقلّ يربض ثانية فوق صدره ، وبالضيق يكاد يخنقه ، وأحس بالزهد التام فى الفتاة ، ولم يسعفه ذهنه بما يقوله لها سوى :

ـ فلندع هذا لمرة اخرى

انه كان مثلّ ابنه بوب عندما وجد أمامه الجنبرى بالمايونيز الذى كان يشتهيه منذ شهور طويلة ، لقد فسدت شهيته بطول الرغبة وطول الانتظار

وهكذا فات الاوان

▭

وبدلا من أن يســـلك اقصر الطرق فى عودته الى البيت ، دار فرانسوا على عقبيه الى شارع مون برناس ، وأخذ يفكر فى التحول الذى طرأ عليه منذ هذا اليوم

انه تحول أساسى ، بدليلّ ان الجميع شعروا به ، فهذه رينيه كفت عن معاملته معاملة قريب فقير أو أبله لا ضرر منه ، وبدأت تحسب له حسابا وتقدر له وزنا ، وهذا ابنه بدأ يحس ذلك التغير ، وهو

www.ibtesamah.com/vb

واثق ان التغير قد اسعد الغلام ، واخيرا راؤول ، والحق ان منظر راؤول كان مضحكا لانه ظهر لأول مرة بمظهر المأخوذ الحائر القلق

ان المال هو الذى حير راؤول فى الواقع ، وقد عزم فرانسوا ان يتركه حائرا برهة من الزمن على الاقل ، ترى ماذا كان يتخيل ؟ هل خطر له ان فرانسوا سرق ذلك المال ؟ أم انه قتل بعض الناس ليظفر به ؟

وكانت شرفات المقاهى عامرة بالناس ، وقد جلسوا يستمتعون بهواء الليل البارد ، فأقبل فرانسوا على أمر لم يقدم عليه منذ زمن طويل ، فجلس فى كرسى من القش امام مقهى الكوبول وطلب لنفسه قدحا مثلجا من البيرة

وبالقرب منه ، على المائدة المجاورة جلس رجل وامراة يتحدثان اللغة الروسية او البولندية بصوت منخفض كأنهما يخشيان ان يفهم كلامهما احد ، وعلى مائدة اخرى جلست فتاتان على جانب هائل من الجمال ، لا شك فى انهما من نماذج الفنانين ، ومع ان فرانسوا كان يمعن النظر الى سيقانهما ، الا انه لم يكن يفكر فيهما ، وعندما ابتسم ابتسامة الارتياح لم يكن ذلك بسببهما ، بل لأنه تذكر رينيه وهى جالسة ذلك العصر فوق ركن المائدة فى حجرة التدخين وهى تهز ساقيها ، وعزم على التوجه الى دوفيل لمقابلة زوجة اخيه

ولم يكن قد قر رأيه بعد هل يأخذ بوب معه أم لا ، فان بوب كان متلهفا على مشاهدة المحيط

ولم لا ؟ يجب ان يفكر فى هذا الموضوع ، والحقيقة انه كان لديه الكثير جدا مما يجب ان يفكر فيه ، ولكن اهم مما ينبغى ان يعنى به ، هو الحذر من هبوط الهمة وسوء الحالة المعنوية كما حدث له منذ قليل وهو فى الفندق مع فيفيان

واشعل سيجارة ثم نهض واتجه الى شارع دى لامير ، ولم يجد ضوءا فى مسكنه ، فعلم ان راؤول لم يرجع بعد وبفرض انه رجع فلا شك انه ظن فرانسوا نائما ، وبما انه سكران ، فمن المحتمل انه اتجه الى حانة ليستانف الشراب ، حيث يعثر على سكران مثله من البلهاء يصغى الى احاديثه المتهكمة التى يرصعها بضحكاته الساخرة

ان راؤول قد أفاده كثيرا عن غير قصد منه ، هذا مع ان راؤول

www.ibtesamah.com/vb

خائر العزيمة مثل بقية أفراد الاسرة رغم مظاهر التحدى ، بل انه يتكلم دائما بصوت مرتفع ليدارى خوره الكمين

وهو لم يصرح بنواياه ، والظاهر انه لا ينوى العودة الى المستعمرات ولا بد ان شيئا خطيرا حدث له هناك مما جعله ينفر من العودة ، ولكن هل لديه الآن ثروة بعد كل تلك السنوات التى قضاها فى المستعمرات ؟ وهل سوف يستقر فى باريس أم فى ضواحيها ؟

وصمم فرانسوا على أن يكتشف الحقيقة ، كما قرر أن يحول بين راؤول وبين الانفراد ببوب ، لأن صحبتهما فى اليوم السابق لم ترق له كثيرا ، أما بالنسبة له شخصيا فقد لا ينتقل من البيت ، لانه بدأ يحب هذا الشارع ، بعد ان لم يعد يخشى نظرات أصحاب الدكاكين الذين ظل مدينا لهم مدة طويلة

ان هذا الشارع ليس كغيره من الشوارع ، فالشوارع الاخرى تسكنها مجموعة صغيرة متجانسة من الناس ، واما أن ينسجم المرء مع المجموعة أو لا ينسجم ، وفى الفترة الاولى من السكن يظل المرء تحت المراقبة والاختبار ، الى أن تأتى اللحظة التى يرفضه فيها الشارع بصورة حاسمة ، أما هذا الشارع فهو غير واضح التكوين ، ففيه الغنى وفيه الفقر ، فيه ما هو عادى وما هو براق ، فيه ما هو شريف وما هو مريب ، فهو شريف بمن فيه من صغار التجار والمساكن الصغيرة التى يسكنها الموظفون وعائلات الطبقة العاملة ومن يعيشون على دخول صغيرة ، وهو مريب بسبب النواديين الليليين اللذين به ، وتلك الفنادق الصغيرة المفروشة ، مثل ذلك الفندق الذى غادره مع فيفيان منذ قليل ، ثم هناك بين سكانه بعض فتيات الليل ، ونماذج الفنانين ، وخدم الحانات وفتيات البارات

وقبل أن يدخل البناء الذى فيه مسكنه احتكت به احدى فتيات الليل ، وقد سره ذلك هذه المرة لأن هذه الفتاة تنتمى الى نادى البليكان الليلى ، وهو نادٍ غالى الثمن ، يشاهد من نافذة مسكنه لافتته المضاءة بالنيون الملون ، وهذا يدل على ان مظهره الآن أنيق يخدع فتاة من هذا الطراز

وفكر فى استخدام خادمة لتعنى بشئون بوب ، ولم يخطر له اطلاقا أن يبعث الغلام الى مدرسة داخلية ، ألم يتعهد له وكان في

www.ibtesamah.com/vb

تعهده غير كاذب انهما سيعيشان معا ؟

وكان الصغير نائما حين دخل فرانسوا على أطراف اصابعه الى حجرة النوم من غير أن يضيء النور ، فالضوء الذى يتسرب من الشارع كاف ، ووجد المذكرة التى تركها للغلام لم تمس ، فقبل جبين ابنه قبل أن يندس فى فراشه وزمجر الغلام وهو يتقلب على جانبه الآخر وهو نائم

▭

وشعر بشيء من الحزن وهو يفكر فى انه بعد استخدام خادمة سوف لا يقوم بتلك المهام الصغيرة التى كان يضيق بها فعلا من قبل

وظل بوب يتظاهر بالنوم ، بيد أن فرانسوا كان يعلم انه مستيقظ فالغلام أول من يستيقظ فى البيت ، ولكنه كان دائما يظل راقدا ليراقب أباه من خلال رموشه المطبقة

وكانت المرأة البدينة فى المسكن المقابل لهما قد شرعت تضرب سجاجيدها بالمنفضة من النافذة ، ولما كان فرانسوا ينام فى الصيف والنوافذ مفتوحة ، فهو حائر الآن كيف يرتدى بنطلونه من غير أن تراه تلك المرأة !

وتصنع بوب انه يستيقظ من نوم عميق ، وحاول أن يظهر الدهشة حينما رأى أباه منحنيا فوقه يضرب برفق خده وفخذه ليوقظه

ـ كم الساعة الآن ؟

ولم يكن عليهما سوى النظر من النافذة الى ساعة باشون الكبيرة وكانت عقاربها تشير الى الثامنة ، وقد بدأ الناس يتزاحمون فى الدكان للشراء ، وقال الصغير لوالده :

ـ انت اليوم ستشترى لى بذلة جديدة ، اليس كذلك ؟

ثم تذكر الصغير فجأة مسدسه الجديد ، فدس يده تحت الوسادة حيث وضعه قبل أن ينام ، وسأل :

ـ هل حضر عمى راؤول ؟

ـ متى ؟

ـ لقد قال امس انه سيأتى بالليل

ـ لم يحضر

www.ibtesamah.com/vb

ـ أتظن انه كان حقا يقابل الفيلة والاسود كما نقابل نحن القطط والكلاب فى شنوارعنا ؟

ولم ينتظر جوابا بل اسرع الى الحمام ، فقال له ابوه :

ـ من المستحسن أن تأخذ اليوم حماما كاملا ، بما انك ستجرب البذل الجديدة فى المتجر

وملأت رائحة القهوة البيت ووصلت الى انف فرانسوا وهو يسوى السريرين فى حجرة النوم ، وبما انه يريد الخروج مبكرا اليوم فسوف لا يضع الوسائد على حرف النافذة كما كان يفعل كل يوم ، والواقع انه حتى قبل أن تذهب جيرمين الى المستشفى ، كانت بسبب مرضها تعتمد عليه فى القيام بأعمال البيت الصغيرة ، ولكن مراقبتها المستمرة له كانت تضايقه وتفسد عليه لذة القيام بتلك الاعمال

وتناولا الافطار ، واحتفظ بوب بمسدسه بجوار طبقه

ـ عندى لك اخبار طيبة يا صغيرى ، فى الاسبوع القادم سنذهب الى دوفيل

ـ هل سأرى المحيط ؟ هل ستبقى هناك طويلا ؟

ـ لا ادرى بالضبط

ـ هل ستذهب الى هناك بعد الجنازة مباشرة ؟

ـ بل ربما ذهبنا فى اليوم التالى

ـ ومتى الجنازة ؟

ـ سأعرف ذلك بعد قليل ، لأن العم راؤول هو الذى قام بجميع الترتيبات ، وربما كانت الجنازة يوم الاثنين

ـ اذن سنسافر يوم الثلاثاء ؟

ـ وأمكنك لا يمكن أن تذهب الى دوفيل يا بوب فى بذلة سوداء فماذا لو اشترينا لك بذلة رمادية مثلا ، وقبعة سوداء ؟

ـ وشريطا اسود على الكم الايسر ؟

ـ ان شئت

واخترق الاثنان حديقة الكسمبور ، لأن الوقت كان لا يزال مبكرا ويجب أن ينتظرا حتى تفتح البنوك أبوابها ، وكان بوب ممسكا بيد أبيه ، وفى المتجر الذى اشترى منه بالامس فرانسوا بذلته

www.ibtesamah.com/vb

وترك شيك رينيه قالوا له انهم لا يبيعون بدل الاولاد ، ولكنهم كانوا ظرفاء للغاية ، فصرفوا له بقية الشيك مع الاعتـــذار ، واخترق الاثنان كوبرى سان ميشيل الى محل آخر ، وهناك اشترى الفتى البذلة الرمادية والقبعة السوداء ، واشـــترى له ايضا بنطلونا ازرق وقميصا مخططا من قمصان البحارة ، وقبعة بحار امريكية

وصمم بوب على أن يظل مرتديا بذلة البحار ، وما أن رجعا الى شارع دى لامير حتى اندفع الى مقابلة جستين صديقه ابن السمكرى واتجه فرانسوا الى البوابة قائلا :

ـ أريد ان ادفع ايجاراتى المتأخرة يا مدام بوساك

وكان اليوم يوم سبت ، والباب غاص بالنـــاس أكثر من المعتاد ، وبعد ذلك توجه الى فندق رين ليقابل راؤول ، وكان فندقا ريفى المظهر فقيل له ان يصعد مباشرة الى الحجرة رقم ١٤٩

وفتح راؤول الباب وهو فى جلباب النوم حافى القدمين ثم اندس فى فراشه ، وسأله :

ـ كم الساعة الآن ؟

ـ الحادية عشرة والنصف

ـ ناولنى هذه الزجاجة التى فوق المائدة

وأخذ يشرب من الزجاجة ثم جعل يدلك عينيه ودماغه فترة طويلة وكانت ثيابه مكومة على الارض ، وللحجرة رائحة غير مستحبة ، وبعد ذلك سأل راؤول أخاه :

ـ ماذا فعلت فى الليلة الماضية ؟

ـ دخلت فراشي ونمت

ـ أراهن على انك لم تفعل ، ولهذا لم اذهب الى البيت ، فانك سليل صادق لآل لـكوان وآل ناى ، فلا بد انك ذهبت الى احدى النساء كى تدشن بذلتك الجديدة

ولم يعلق فرانسوا بكلمة ، فاستطرد راؤول :

ـ ان كنت قد لهوت وتمتعت بليلتك فخير ما صنعت ياصغيرى ! اعطنى السترة ، لابد انها على الارض ابحث فى جيوبها ، وستجد أوراقا ، هاتها

وشرب جرعة اخرى من الزجاجة ، وقال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ يجب أن توقع هنا ، ثم هنا ، وهنا ايضا ، والافضل ان تذهب بنفسك الى مكتب الحانوتى ، لقد بدأوا فى كل شيء ، وأرسلت انا اعلانين الى الصحف ، لصحيفة صباحية واخرى مسائية وسوف يحضرون الجثة فى صندوق الى بيتك فى صباح يوم الدفن

ـ ولكنى لا اريد ...

ـ لا تقلق ، سيكون الصندوق مقفلا عليها باحكام ، أنظر الى الكتالوج ، النموذج رقم ٥ ، صندوق من خشب الارو له مقابض مطلية بالفضة ، مظهر محترم جدا ، ولا شك ان العمال الآن فى المستشفى يقومون بتجهيز كل شيء ، ناولنى البنطلون ، بل الاوفق أن تبحث لى فيه عن علبة السيجار ... هل معك كبريت ؟

وكانت هذه اول مرة يرى فيها فرانسوا انسانا يدخن ويشرب الكونياك من الزجاجة وهو فى الفراش ، والواقع ان فرانسوا يذكر راؤول جيدا حين كان فى عمر بوب تقريبا ، وكان راؤول طفلا نحيلا جدا بارز عظام الوجه ، وعندما بلغ سن الشباب ، كان فرانسوا فى العاشرة من عمره وحينئذ كان راؤول لا يعود الى البيت الا لتناول الطعام والشجار مع امه ، حتى ان اباه كان يضطر للتدخل قائلا :

ـ اهذه هى الطريقة التى تسمحين لابنك ان يعاملك بها ؟

وبعد قليل عرفوا ان راؤول بعد ان حصل على ليسانس الحقوق وقع عقدا للسفر الى المستعمرات من غير ان يستشير أحدا ، ومن ذلك التاريخ ظل راؤول بعيدا ، فلم يتح لفرانسوا أن يعرفه حق المعرفة ، ولكنه كان يسمع امه تقول له بين الحين والحين :

ـ تذكر كلماتى جيدا يا فرانسوا ، ان أخاك راؤول سينتهى نهاية سيئة ، وانت ماض على آثاره

وبالامس فقط قال له راؤول معترفا :

ـ أتدرى لماذا هاجرت من فرنسا ؟ بسببها هى ! كانت تضنينى حتى سئمت بما فى جو البيت من كآبة،كنت اريد ان اقوم بأعمال عظيمة لانى كنت شخصا مثاليا يا صغيرى ، لا اعرف انصاف الحلول ، وقد ارسلوا بى الى الهند الصينية فى بقعة نائية حتى اوشكت ان أموت بحمى الدنج

وبعد بضع سنوات رحل الى مدغشقر ، ومن هناك عاد الى

www.ibtesamah.com/vb

فرنسا فى اجازة طويلة ، وتزوج امرأة كانت أمه تأبى دائما أن تستقبلها ، وفى اليوم فرانسوا صورة زفافهما ...

وعاد راؤول الى ترتيبات الجنازة :

ـ غدا ستكون جيرمين مستقرة فى تابوتها الفاخر ، وبعد غد الاثنين فى الساعة السابعة والنصف صباحا ، سيأتى العمال الى مسكنك لاعداد حجرة المائدة لاستقبالها ، وفى مدى ساعة ستكون الستائر السوداء معلقة على جدران الحجرة ، وسيكون هناك وعاء من الماء المقدس ، ثم تحضر الجثة ، وتلبث هناك نصف ساعة ريثما تتلقى تحيات الاقارب والجيران قبل أن ينزلوا الى طوار الشارع فى انتظار هبوط التابوت لنذهب معا الى الكنيسة

ـ هل سيقام لها قداس ؟

ـ ليس قداسا بالضبط ، مجرد صلاة ، ولكن سيكون هناك اثنان من الشمامسة ، وآلات موسيقية ، فان القداس يرتفع بالجنازة درجتين مرة واحدة فيزيد تبعا لذلك أجر كل شىء ، وقد أوصيت على سيارتين تصحبان سيارة التابوت الى المدافن ، ولما كان دفع الاجر مقدما كما هى القاعدة فى هذه الاحوال ، فقد وعدتهم انك ستمر بمكتبهم اليوم ، والآن ان لم يكن لديك مانع أريد أن أذهب الى المبولة ، وانا أعلم طبعا ان هذا الاسم ليس شاعريا للغاية ، وان المرحومة ماما كانت تكره أن تذكره بهذه الصراحة ، ولكن اعذرنى لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى لا أستطيع أن أقوم به وانا فى الفراش

وقفز من الفراش وهو يقول :

ـ متى سأراك يا صغيرى ؟ انى لا أقول لك ذلك لأستعجل خروجك ، بل لتعلم انى فى خدمتك ، لانى فى الواقع لم أظفر من قبل بسبب غربتى بفرصة الاشتراك فى دفن أقاربى ، كما لم يسعدنى الحظ بدفن أى واحدة من زوجاتى !

واندفع يخترق الحجرة الى دورة المياه ، وفرانسوا يسأل نفسه لماذا يصر راؤول على أن يبدو فظا مثيرا ما استطاع ؟

ان فرانسوا على كل حال هو الذى بدأ فى اظهار رغبته فى التخلص بأسرع ما يمكن من بقية جيرمين الباقية فى الدنيا ، اما الباقى فكان من قبيل الشكليات

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

الجزء الثاني

يومان في الشانزليزيه

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

يوم الذكرى

كان قد قضى تلك الليلة فى بيت فيفيان القائم فى شارع برسبورج والذى اثثه لها واستأجره ، وهذا ما لم يحدث كثيرا فى المدة الاخيرة واستيقظ فى الساعة السابعة ، ومن غير أن يزعج صديقته تسلل من الفراش الى الحمام

وكان الحمام هو المكان الوحيد الذى لم يزل يجد فيه للترف والبذخ لذة أشبه بالفرح الصبيانى ، فالمسكن على أحدث طراز ، والاضاءة فيه غير مباشرة ، كما فى استديوهات الفنانين ، والحمام من القيشانى الاصفر الشاحب ، وجميع المعدات من أفخم نوع ، وهناك وقف أمام مرآة مكبرة ، وشرع يحلق ذقنه

ولما انتهى من ارتداء ثيابه كانت فيفيان ما زالت نائمة ، فكتب لها مذكرة كما كان يفعل مع بوب :

ـ سأكلمك بالتليفون فى نحو الحادية عشرة ، قبلاتى

وكان يعلم ان مهندس الزخرفة والاثاث سيرسل اليه اليوم أيضا فاتورته للمرة العاشرة ، ولكنه سيتصنع النسيان

وارتدى بذلة من الفانلة الخفيفة كتلك التى اشتراها منذ ثلاث سنوات يوم ماتت جيرمن ، بيد أن هذه البذلة مصنوعة لدى خياط فى شارع هوسمان يقوم بتفصيل ثياب معظم كبار الممثلين ، وأجر هذا الخياط لم يدفع بعد ، ولكنه لا يكترث بذلك

وقبل أن يتوجه الى الجراج ليخرج سيارته وقف أمام حانة صغيرة على الناصية ، حيث تناول كعكتين صغيرتين مع فنجان القهوة وهو يتصفح جرائد الصباح ، وكان صباحا مشرقا شبيها بذلك الصباح الذى استقبل فيه حياته الجديدة ، وكانت الشوارع المحيطة بميدان الاطوال أعظم اشراقا من شارع دى لامير القديم ، والسماء كانت أرحب ، وفى هذه السماء كانت تحلق الآن طائرة كبيرة

وكانت سيارته لامعة من أحدث طراز ، وشعر بهزة السرور وهو يرى عامل الجراج يخرجها الى الشارع ، ثم اندس وراء عجلة القيادة

www.ibtesamah.com/vb

بعصبية لم يفلح بعد فى التغلب عليها ، ربما لأنه تعلم القيادة فى فترة متأخرة من حياته ، وربما أيضا بسبب موضوع جانينى

وقاد السيارة حول قوس النصر الى شارع فريدلاند ثم مخترقا شارع برى الى الشانزليه ، فهناك مكتبه !

وهنا أيضا كان البناء جديدا مثل ابنية المكاتب الامريكية فى نيويورك ، واستقبله احد سعاة العمارة فى كسوة رسمية فضية اللون ، فقدم اليه رزمة كبيرة من الخطابات ، ثم دخل المصعد الذى يشرف عليه غلام يرتدى كسوة رسمية من نفس اللون ، وكانت حول الاروقة أبواب من الزجاج المصنفر وعليها أرقام ، وتحت ٦٠٧ ، ٦٠٨ و ٦٠٩ لافتة تحمل اسم « مجلة الكرباج » وعلى أول باب منها كلمة « خصوصى » ، وهذا الباب الخصوصى هو باب مكتبه ، ولكنه فى هذه الساعة المبكرة يفضل أن يدخل الباب رقم ٦١١ ، وهو لا يحمل لافتة المجلة ، فهذا مدخله السرى الى مكتبه السرى ، فهناك يجلس من غير أن يخلع قبعته الى مكتب من خشب الموجنة ، ويفض خطاباته ، فهو لا يعهد بهذه المهمة الى أى شخص ، ولذا يفضل أن يكون اسبق الناس فى الحضور الى المكتب ، وان فرض ان حضرت قبله الآنسة برت ، يظل طول النهار منغصا

وكالعادة تضمنت الخطابات شيكات صغيرة وأذون بريد للاشتراكات وللاعلانات المبوبة ، ثم دخلت الآنسة برت وهى فتاة فى الخامسة والثلاثين تعيش مع أمها العجوز التى تدير محلا للخردوات ، وهى فتاة دائمة البشاشة بدينة لم يفكر اطلاقا فى لمسها لأنها تذكره دائما بشىء يؤكل ، لا بامرأة تشتهى

وقالت له برت وهى تخلع قبعتها أمام المرآة :

ـ هل وجدت نقودا كثيرة فى بريد اليوم ؟ ارجو أن تتذكر اننا مهددون بقطع التيار عن التليفون اليوم

وبدأت تعد الآلة الكاتبة والورق والكربون وتخرج من حقيبة يدها منديلها المطرز ، ثم سألت :

ـ هل ستخرج اليوم ؟

ـ سأعود قبل الحادية عشرة

ـ وماذا اقول ان حضر احد لمقابلتك ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ دعيه ينتظر

ـ هل هناك شيء تريد ارساله للمطبعة ؟

وفي هذه اللحظة وصل شارتييه ، وهو المحرر المسئول قانونيا عن مجلة الكرباج والذى ينبغى أن يدخل السجن فى حالة الادانة بسبب اى موضوع ينشر فيها ، وكان دخوله بلا صوت ، ففوجيء به فرانسوا

ـ انه تحت !

ـ من ؟

ـ نفس الشخص الذى كان هنا امس واول امس ، واظنه جاسوسا من الشرطة ، وهذه ثالث مرة أراه عند المدخل عندما احضر ، وكنت أجده فى المساء عندما اخرج

ـ لا عليك ، ففى هذا المبنى اثنتان وتسعون مؤسسة اخرى

ـ ولكنها ليست كمؤسساتنا ياسيدى الرئيس ، ولو كنت فى مكانك لأخذت حذرى ، ليس أخطر ما فى الحسبان أن يكون مخبرا ، هل نسيت ما حدث لك فى مطعم فوكيه ؟

وكانت فى الواقع ذكرى غير سارة ، فقد وقع ذلك الحادث فى بداية الخريف الماضى مساء ، عندما كانت شرفة مطعم فوكيه الواقعة على ناصية شارعى الشانزلزيه وجورج الخامس غاصة بالطبقة الراقية التى انصرفت لتوها من ميدان السباق

وكان فرانسوا قد طلب من فيفيان أن تقابله هناك ، وكانت ترتدى تايرا من الحرير القاتم وقبعة أنيقة فاخرة للغاية ، وكان الساقى قد احضر لها الكوكتيل واحضر له قدحا من البيرة عندما شعر بيد تلكمه بعنف من غيرسبب ، ثم توالت الاحداث بسرعة واوشكت المائدة ان تنقلب وتحطم قدحه ، وانسكبت البيرة على بنطلونه ووجد عملاقين بجواره يسدان عليه المنافذ ، وقبل أن يفتح فمه صاح احدهما بمنتهى الغضب :

ـ أتجسر على ان تشتمنى ؟ سأريك ...

وقبل أن ينهض على قدميه استقرت لكمة عاتية على وجهه ، وتكاثر الناس حوله ، وسمع امراة تصرخ ، ولم تكن هذه المرأة فيفيان ، ولم يستطع أن يسمع الايضاح الذى تقدم به العملاقان

www.ibtesamah.com/vb

للجمهور ، لأنه كان فى حالة دوار وقبل ان يصل البوليس انصرف العملاقان فى سيارتهما المقفلة التى كانت تنتظرهما على ناصية الشارع

ورفض فرانسوا ان يتقدم بشكوى لأنه كان يعرف مصدر هذا الهجوم ، ولكنه اصبح يتخذ حذره بعد ذلك ، وهناك مواضع كثيرة فى باريس لايذهب اليها ولا سيما فى الظلام ، وفى احيان كثيرة كان لا يخجل من اصطحاب احد معه

فرواية شارتييه عن رجل واقف فى مدخل العمارة لم تكن مفاجأة تامة له ، لأنه كان يعلم انه مراقب وان هناك من يريد معرفة شخصيات المترددين على مكتبه ، وأما التهديد بقطع التليفون فكان يضحكه لأنه واثق ان حكمدارية البوليس تراقب تليفونه ، وان الحرارة لن تقطع عن التليفون رغم التأخير فى دفع الاشتراك كى يتسنى للبوليس الاستمرار فى المراقبة ، ثم انه فى الساعة الحادية عشرة على الاكثر سيكون قد حصل على نقود ، وحتى ان لم يكن راؤول نجح فى المهمة المكلف بها منذ امس ، فسوف يستطيع هو شخصيا تدبير المسألة ، فقد تعود أن يجد مخرجا فى اللحظة الاخيرة

وعندما غادر المكتب رمق ان الرجل الجالس أمام المصاعد متصنعا الانهماك فى قراءة جريدة ، وتعمد فرانسوا أن يعبث به فاتجه نحوه مباشرة ، ثم على مسافة خطوتين منه انحرف فجأة نحو باب الخروج!

وبعد ربع ساعة كان يقود سيارته نحو باب ايطاليا ، متجها الى المدافن ، وفى السنوات الثلاث الاخيرة لم يذهب الى المدافن غير مرتين ، وكانت المرة الاولى مع بوب عندما وضعت لوحة رخامية على القبر عقب عودتهما من دوفيل بمدة قصيرة ، وكانت المرة الثانية فى يوم جميع القديسين من السنة نفسها

أجل منذ ثلاث سنوات بالضبط ماتت جيرمين ، وقد تذكر ذلك فى اليوم السابق ، ولهذا قضى الليلة فى مسكن فيفيان ولكن من غير ان يخبرها بذلك ، لأن اليوم بالضبط يوافق ذكرى تعرفه بها أول مرة ، ولعلها تذكرت أيضا المناسبة ولكنها أخفت ذلك عنه ، فالفرق بينها وبين جيرمين وأمه انها لا تدعه يشعر اطلاقا انها فاطنة الى ما فى نفسه ، الى أن يعترف لها هو بما عنده ، وهذا كان يزيدها مكانة فى نفسه

www.ibtesamah.com/vb

واشترى عند مدخل المدافن أزهارا ، ثم أرشده الحارس الى مكان القبر ، وهو فى الطرف البعيد الذى يطل على المطار ، وفوجىء بباقة من الزهور الحمراء هناك ، فأدرك أن بوب تذكر المناسبة وعنى بشراء هذا النوع من الزهور الذى كانت جيرمين تحبه ، ولا شك ان بوب استيقظ مبكرا جدا كى يستطيع الحضور فى الاوتوبيس ، ولعله تأخر عن موعد مدرسته فى استانسلاس ، فهل ذكر للناظر العذر الحقيقى أم انتحل عذرا مختلقا ؟

واضطرب فرانسوا لهذا الاكتشاف ، لأن الصغير بوب استطاع أن يخدعه فى العام الاول ، اذ ظل فى تلك السنة يذكر أمه عرضا ، كان يقول :

ـ أتظن أمى كانت ستحب هذه البذلة ؟

ـ أتذكر يا أبى انه فى حياة أمى كنت أرفض أن آكل السبانخ ؟

فلمـــا اقيم النصب الرخامى على القبر وفوقه اسمها بحروف مذهبة ، وشاهد الصغير اللوحة ، ظل طول الليل يبكى لأول مرة ، ولما نام رأى كابوسا فاستيقظ فزعا وهو يصرخ :

ـ كلا يا أبى ! ألا ترى اننى ميت ؟ وانك ميت ؟ واننا جميـــعا موتى ؟ اقسم لك يا أبى اننا جميعا موتى !

وعبثا حاول فرانسوا أن يتذكر مناسبة واحدة بعد ذلك اليوم جرى فيها ذكر جيرمين على لسان الصغير ، مع انهما كانا صديقين حميمين ، فبوب يخبره بكل شىء يحدث فى المدرســـة ، حتى تلك الاشياء التى لا تجرى العادة أن يحدث فيها الصغار آباءهم

ولـكن ها هو رغم هذا الصمت الذى يشبه النسيان يذكر جيدا يوم وفاتها ويحمـــل اليها مع الفجر تلك الازهار نفسها التى كانت تفضلها ، والتى كانت تباع بكثرة فى شارع دى لامير

ولـكن اليوم لم يكن فقط يوم ذكرى وفاة جيرمين بل كان أيضا يوم ذكرى شراء بذلته الرمادية الانيقة ، ثم فى اليوم التالى للجنازة أقلتهما سيارة ركاب ضخمة من نوع البولمان مخترقة الحقول الى دوفيل ، وفى الطريق سأله بوب :

ـ هل ذهبت الى دوفيل من قبل يا أبى ؟

ـ مرة واحدة يا صغيرى

www.ibtesamah.com/vb

ـ مع أمى ؟

ـ فى شهر العسل

وكان ذلك فى ابريل ، وكان الجو فى دوفيل باردا ، وعانت المسكينة من برودة الماء ، وهو يتذكر جيدا كيف جلسا معا أمام النار فى الفندق الصغير يشربان القهوة الساخنة الممزوجة بكونياك نورماندى المحلى ، وصارت تسليتهما بعد ذلك الذهاب الى السينما لأن البحر كان أبرد من أن تتحمله جيرمين

ما أبعد الفرق بين تلك الزيارة الاولى وبين هذه الزيارة الثانية ، فها هو ذا فرانسوا يدخل دوفيل وقد ولد من جديد ، واثقا بنفسه ، أنيقا فى ملبسه ، ومعه النقود ، ولم يعد ذلك الهزيل الذى يتسلل هربا من البوابة والخباز والبقال والجزار ، فالجميع الآن يهشون له ، لقد انتهت متاعبه وخرج من الهاوية التى صبر على حضيضها مدة طويلة ، سنوات دفعت المرارة الى حلقه ، سنوات كان يعيش فيها على امل ولا امل

وفى فندق نظيف مواجه للبناء نزل فرانسوا مع بوب ، واظهرت زوجة صاحب الفندق العجوز البدينة أمومة رحيمة بالغلام الذى يرتدى ثياب الحداد على أمه ، وتفرغت للعناية به

ـ اذهب انت يا سيد فرانسوا الى شأنك ، ودع لى هذا الشاب الصغير ، فنحن صديقان

وفى العصر أخذ بوب لنزهة فى قارب صيد فى عرض البحر حيث بلغت نشوة سرور بوب أقصاها ، وفى الصباح التالى تركه مع صاحبة الفندق واستقل سيارة أجرة الى فيلا مارسيل

وكان مارسيل وزوجته قد اشتريا هذه الفيلا على سفح تل تغطيه الاشجار ، وهناك استقبله خادم فى ثياب رسمية كخدم اللوردات

ـ ان المسيو لكوان فى المكتبة ، فهل لديك موعد ؟ لا اظن انه سيقابلك لأنه مشغول جدا هذا الصباح

ـ قل له أن أخاه حضر

ـ سمعا وطاعة ياسيدى

ـ اخوه فرانسوا

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهو كذلك ياسيدى

واقبل مارسيل فى أعقاب الخادم ، وقد وضع على شفتيه ابتسامة واسعة وهو يبسط اليه يده ، وكان التعب ظاهرا على وجهه ، وكذلك القلق ، وقد ارتدى بذلة بحرية كالتى يرتديها اصحاب اليخوت ، ولا شك انه تحدث طويلا فى موضوعه مع رينيه ، فماذا قالت له زوجته بالضبط ؟ كل خاف سيعلن !

ـ هل تشرب شيئا يا فرانسوا ؟

ـ كلا وشكرا

وكانت الساعة الحادية عشرة ، ولهذا اكتفى بقدح النبيذ الابيض الذى شربه على مائدة الافطار فى الفندق

ـ هل نخرج الى الحديقة لنتحدث يا فرانسوا ؟

ولما لمح مارسيل سيارة الاجرة واقفة فى الانتظار قطب جبينه وصاح :

ـ لا لزوم لانتظار هذه السيارة ، ان سائقى سيتولى توصيلك الى مقرك

ولما عاد فرانسوا بعد ان صرف السيارة ودفع اجرها سأله :

ـ اين نزلت ؟

ـ فى فندق لطيف نظيف معقول الاجر امام الميناء

ـ هل أنت وحدك هنا ؟

ـ معى ابنى

وكان مارسيل طبعا يرمى من هذه الاسئلة الى ان يعرف هل فرانسوا اخذ يبعثر النقود يمينا ويسارا ام لا ، ولعله ايضا كان يريد ان يعرف كم من الوقت يزعم فرانسوا ان يبقى فى دوفيل

وبعد لحظة صمت قال :

ـ طبعا كلمتنى رينيه فى موضوعنا بمجرد عودتها من باريس

ـ انى أعتقد ان كلا منا يفهم الآخر تماما ، اعنى انا وزوجتك ، فنحن متفاهمان على كل شىء من حيث قواعد العمل

▭

والآن وقد انقضت ثلاث سنوات ، لم يزل متعجبا من مقدار حذره عندئذ ومدى براعته وهو فى مستهل حياته الجديدة على قلة

www.ibtesamah.com/vb

خبرته ، وكثيرا ما تساءل بعد ذلك اليوم من أين اكتسب فجأة كل تلك الثقة بالنفس لأنه كان هادئا جـــدا من غير غرور وهو يظهر بوضوح تام انه شخص يحسب له حساب ، وانه فى تلك المرة لم يحضر ليقترض مبالغ تافهة من المال أو ليستجدى المساعدة

ويومئذ نظر اليه مارسيل نظرة سريعة ثم حول عنه وجهه وهو يناقشه ، ولو انه أدام النظر اليه ، لوجد شفتى فرانسوا تختلجان

ـ لعلك تعلم اننى أملك فعلا جريدة ؟

ـ وأعلم أيضا انها تسمى « صدى سان جرمان دى برى » ، فقد قرأت العددين الاول والثانى منها

ـ وبوســـو هو الذى يتولى تحريرها ، وقد لا يكون محررا ممتازا ولـكنه صحفى قديم ، ولديه خبرة عظيمة بمثل هـــذه الصحف ، وقد اتصلت به أمس تليفونيا وتحدثت اليه عنك

ـ آه !

ـ انك تعرف كيف تكون هذه الصحف الانتخابية ؟ انها صحف تنشأ من أجل المعركة الانتخابية ، وتغلق بمجرد الانتهاء منها ، وليس فيها عمل يعتد به ولا سيما من جهة التحرير

ولم يعلق فرانسوا بشىء فأثار صمته قلق مارسيل واستطرد :

ـ ومع ذلك أظهر بوســـو سرورا عظيما عندما علم منى انك ستساعده وهو يتوقع منك أن تكتب الموضوعات الاخبـــارية وربما أيضا بضع مقالات ، وبهذه المناسبة ، هل كنت تنوى أن توقعها ؟

ـ بالطبع لا

ـ أصبت ، فلا يجب أن تنسى انك أخى وان اسمنا واحد

ـ لقد فكرت فى هذه الاعتبارات ، ولهذا السبب بالذات رأيت أن نرتب الامر على خلاف ما ذهبت اليه أنت

ـ ماذا تعنى ؟

ـ ان الجمهور حرى أن يكتشف ان عاجلا أو آجلا اننى أخوك ، ولا تنس انك غنى جدا ومرموق جدا ، فلن يغفروا لك أن تضع أخاك فى وضع غير لائق ، وليس فى نيتى أن أقلل من قيمة بوســـو الذى لم أعرفه بعد ، ولـكنه على كل حال لا يتعدى فى قيمتـــه صحفيى الدرجة الثالثة ، وسيكون من السخيف فى نظر ناخبيك أن

www.ibtesamah.com/vb

تجعل أخاك يعمل تحت رئاسته فى الجريدة التى تملكها

ـ ولكنى لا ادرى ماذا نستطيع ان نفعل فى هذا الموقف ، فلا حيلة لنا غير ذلك

ـ لابد ان رينيه قالت لك ان منصب رئاسة التحرير معروض على فى مكان آخر ، وانى لم ارفض بعد هذا العرض ، وسأتمتع هناك بميزة انشاء الجريدة من البداية على حسب ما يتراءى لى ، لأنى سأكون هناك مطلق اليد

ـ ان بوسو لن يقبل هذا الاعتداء على حقوقه المقررة فى عقد الاتفاق بيننا

ـ بالرجوع الى راس جريدتك سنجد ان بوسو يتمتع بلقب رئيس التحرير ، ولكنى لا أجد هناك اى اشارة الى منصب آخر هو مدير التحرير

ـ الحقيقة اننى شخصيا مدير التحرير

ـ هذا عظيم ، سأتولى اذن اختصاصاتك ، وسأتبع بالطبع توجيهاتك ولا أمضى شيئا من غير الرجوع اليك اولا ، واظن ان رينيه تدرك كل هذا او توافق عليه

ـ اتعنى انك دخلت معها فى هذه التفاصيل ؟

وادرك فرانسوا من هذا السؤال ان رينيه لم تخبره بكل شىء ، فقال :

ـ ليس بهذا التحديد ، ولكنى انوى ان اتفاوض معها فى هذا كله اليوم

ـ ليس هذا ضروريا ، فان لدى رينيه حياة اجتماعية حافلة جدا تشغلها طول الوقت ، ولا بد انها الآن على الشاطىء ، ولا انتظر حضورها للغداء ، وسأقابلها بعد الظهر فى ميدان السباق

ـ ميدان السباق ؟ ولكن هذا هو المكان الذى انوى ان اذهب اليه شخصيا بعد ظهر اليوم !

وهكذا كسب الموقف من غير حاجة الى رفع صوته او استعمال التهديد ، ولما كانت هناك حفلة ماتينيه خاصة بالاطفال فى الكازينو ، فقد ترك بوب هناك وذهب الى السباق

وكانت هذه اول مرة يضع فيها قدمه فى ميدان للسباق ، وكان

www.ibtesamah.com/vb

الجمهور كله من الشخصيات الراقية جدا هـذا اليوم ، وكان عليه كى يتمكن من مقابلة شقيقه وزوجة شقيقه أن يشترى تذكرة فى الدرجة الاولى ، ولم يستطع أن يفهم تحركات الناس من حوله ، بيد انه عرف على الفور المكان الذى يضم المشاهير ، ومعظمهم ممن يرتدون القبعات العالية الرمادية ، وكاد يلمس كم اغا خان وهو يمر بجانبه ، وقد عرفه على الفور من الصور التى نشرت فى الصحف ، ورأى ممثلين مشهورين ونجوم السينما ، وعرف بين المتتبعين لحركات الجياد بالمناظير المكبرة سيدا متقدما فى السن انيق الملامح والثياب هو البارون روتشيلد

ولم يقامر لأنه لم يكن قد فهم بعد نظم المراهنة ، ولا تلك الارقام التى تكتب وتتغير بسرعة فوق اللوحات الكبيرة ، ولا صيحات الرجال الذين يبيعون تلك القصاصات الصغيرة من الورق الاصفر

وأمام نافذة بيع تذاكر الرهان ذات الالف فرنك وجد رينيه وقد لبست قبعة واسعة جدا وشفافة كأنها جناح فراشة ، وكانت تبدو فى اوج فتنتها وقد أثقلت ذراعها بأساور براقة ، وغير بعيد عنها وقف مارسيل فى ظل شجرة يتحدث مع رجل احمر الوجه ، ولما لمحته رينيه قالت له متهللة :

ـ هالوا فرانسوا !

وقبل يدها لانه لم يكن تعلم بعد انه لا يصح تقبيل يد امرأة خارج البيوت ، ولكن ربما كانت ابنة المرابى لا تعرف هذه القاعدة الدقيقة فى الاتيكيت ، لأن السرور ظهر عليها واضحا ، وقالت :

ـ مارسيل قال لى انه قابلك هذا الصباح ، والحقيقة اننا نحن الاثنان مشغولان دائما ، ونلتقى هكذا عرضا كالغرباء ، هل جربت حظك يا فرانسوا ؟

فأجابها بلا اكتراث :

ـ لست مقامرا

ـ انا مقامرة فظيعة ! ألم تراهن فى حياتك على حصان ولو مرة واحدة ؟ فى هذه الحالة تكون جالبا للحظ كما يقولون ، اذكر لى اى رقم من ١ الى ١١

ـ ٧ سبعة !

www.ibtesamah.com/vb

ـ اوه ، انه بنسبة ثلاثين الى واحد ، ولكنى سأراهن عليه

ولم يربح الحصان ، ولم يظهر اسمه فى قائمة الفائزين اطلاقا ، وقابل زوجة أخيه أمام نافذة المراهنات مرة اخرى ولكن مارسيل كان معها وكان يكلمها بصوت منخفض ، فقال له :

ـ تعال اشرب معنا كأسا فى البيت غدا فى نحو الساعة السادسة يا فرانسوا ، فسنكون موجودين فى تلك الساعة معا

وتولت رينيه ادارة العمليات فى اليوم التالى وحاول مارسيل جهده أن يستخدم الفرامل ويقيم الاعتراضات ، ولكن عبثا

ـ دعنى أرتب كل شىء مع اخيك ، فرانسوا على حق ، انى بدات اعتقد ان لديه من الذكاء أكثر مما يخيل اليك ، لا تلتفت لما يقول يا فرانسوا فانه ثائر الاعصاب ومنافسوه فى الانتخابات يسببون له ازعاجا كبيرا فى هذه الايام

ـ ولا سيما جانينى

ـ فعلا ولا سيما جانينى ، فلا جدوى من محاولة انكار ذلك ما دمت تعرفه

وفى هذه اللحظة لم يكن يعرف جانينى شيئا عن وجود شخص فى الدنيا اسمه فرانسوا لكوان ، الذى كل معلوماته عنه انه مر امام متجره الصاخب بضع مرات

ولكن هذه اللعبة الاولى لم تكن الا فاتحة حياة من الالاعيب بدات منذ ثلاث سنوات بالضبط ...

▭

ولما رجع فرانسوا الى مكتبه فكر ان يدخل من الباب رقم ٦٠٨ ، كى يتحاشى مقابلة غير المرغوب فيهم ، وما ان فتح الباب بمفتاحه الخاص ودخل واغلقه حتى انتفض مأخوذا لأنه وجد على مكتبه شخصا وكان هذا الشخص هو راؤول ، وقد شمر كمى قميصه كالعادة ، وانهمك فى احتساء الكونياك من الزجاجة ، ولم يفهم لماذا ينظر اليه راؤول بهذا الالحاح ، الى أن تكلم راؤول قائلا :

ـ فيفيان تكلمت بالتليفون وتريد منك ان تتصل بها

ثم مد يده الى جيب بنطلونه الخلفى واخرج محفظته ، واخرج منها رزمة من أوراق البنكنوت القاها فوق المكتب ثم قال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ وقع الزبون فى الفخ

ثم وقف واتجه نحو الباب الداخلى الذى يفضى الى المكتب الآخر وهو يقول :

ـ هناك أربعة أو خمسة لقطاء فى انتظار مقابلة سيادتك ، وقد قلت لهم ان سيادتك قد لا تحضر هذا الصباح ، ولكنهم رفضوا الانصراف وكذلك بوسو يريد أن يتحدث اليك ، وهو الآن فى المطبعة والظاهر ان هناك شيئا ليس على ما يرام تماما

فهز فرانسوا كتفيه بعدم اكتراث ، لقد أصبح الآن راسخ القدم فى الصنعة ، ومن المألوف لديه أن تكون هناك مشاكل عليه دائما أن يجد لها حلا ، وفتح الدكتافون الداخلى وقال :

ـ هالو يا آنسة برت ، اعطنى شارع برسبورج من فضلك على التليفون

ـ هل أستطيع أن ادخل بعد أن تنتهى من التليفون ؟

ـ لا تقلقى ، حضرت النقود ولن يقطعوا الحرارة عن التليفون اليوم

www.ibtesamah.com/vb

راؤول

ـ هذا انت يا فردينان ؟

وكان فردينان بوسو يقضى طول نهار الاثنين وجزءا من يوم الثلاثاء فى الشركة المركزية للطباعة بالقرب من بورصة الاوراق المالية كى يخرج العدد الاسبوعى من مجلة الكرباج

ـ صباح الخير ياسيدى الرئيس ، ان لم تكن مشغولا جدا فأرجو أن تحضر الى هنا ، يجب أن اقابلك ، ولا استطيع ترك المطبعة

ـ هل هناك شيء ليس على ما يرام ؟

ـ لا أدرى ، هناك شيء حدث فى المطبعة هذا الصباح قبل حضورى ، حاول أن تأتى دقيقة واحدة ان استطعت

ـ أفى استطاعتك ان تغادر المطبعة نصف ساعة لتتغدى معى ؟

ـ اذا كانت نصف ساعة تكفى فلا مانع عندى

ففى أيام اعداد الصحيفة لم يكن بوسو يغادر المطبعة للغداء بل كان يأكل ساندوتشات فى احدى غرف المكتب التى تخصصها المطبعة للمحررين وسكرتيريهم

وكان على فرانسوا أن يتصل مرة اخرى بفيفيان فى شارع برسبورج لأنه كان قد وعدها أن يأخذها لتناول الغداء فى الخارج

ـ سأراك الليلة يا فيفيان ، ولكنى لست متأكدا فى اى ساعة بالضبط فلا بد من ذهابى الى ميدان البورصة

وكان راؤول واقفا خلفه وفى يده ورقة

ـ ما هذه يا راؤول ؟

ـ اقراها

وكانت خبرا عن صلة جنسية شاذة احد طرفيها قطب من اقطاب الصناعة فى شمال فرنسا يحضر لقضاء ثلاثة أيام فى باريس كل أسبوع

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل ننشرها يا فرانسوا ؟

ـ مغطاة قليلا ، وبدون ذكر الحروف الاولى فى هذه المرة ، هل تتناول الغداء معى اليوم ؟

ـ عندى مواعيد مع اربعة او خمسة مندوبين ، فان كنت ذاهبا الآن الى المطبعة ، خذ هذا الخبر معك الى بوسو

ـ هل سأقابلك بعد الظهر ؟

ـ ربما ، وان لم تجدنى هنا فأنت تعرف أين تجدنى

والحقيقة ان راؤول لم يكن يستغل صفة اخوته لفرانسوا ، بل كان يخاطبه باحترام أمام الناس ، ويقول له دائما يا سيادة الرئيس

والحقيقة ان هذا العمل كان يوافق هوى لدى راؤول ، لانه مطبوع على مسخ الطبائع البشرية والتشفى فى نقائصها وله ولع بالتنقيب عن أسباب تسوغ له احتقارها ، وهو فى هذه المهنة يجد المجال ذا سعة لذلك كله ، من الصباح الى المساء ، فالقاذورات ها هنا يمكن أن يغوص فيها على هواه

ثم انه ربما لم يزل يشعر بالفضول والحيرة للتطور الذى طرأ فجأة على شقيقه فرانسوا ، فعند ما ظهر العدد الاول من الكرباج تساءل فى سخرية :

ـ أتظن ان المجلة ستعيش طويلا ؟

وكان الجواب انه احتفل بالعدد المائة من هذه المجلة الاسبوعية فى الشهر الماضى ، وقد أمكن قيام التعاون بين الاخوين بغير خلاف او شجار حقيقى ولو مرة واحدة ، وقد بدا هـــذا التعاون على غير انتظار فى الواقع ، فبعد وفاة جيرمين امضى فرانسوا اربعة أيام فقط فى دوفيل ، بيد انه قرر أن يقضى عطلة الأسبوع دائما هناك ، على أن يترك بوب طول المدة فى ذلك الفنـــدق فى رعاية صاحبته العجوز

ولما عاد الى مسكنه بمفرده فى شارع دى لامبر ادهشه الا يرى اثرا لأخيه راؤول ، مع ان راؤول اتعب نفسه واهتم بتوديعه مع ابنه عند سفرهما الى دوفيل

وتوجه فرانسوا الى فندق رين وسأل عن راؤول ، فعلم ان اخاه غادر الفندق من غير أن يترك عنوانه

www.ibtesamah.com/vb

ـ أتعتقدون انه غادر المدينة ؟

ـ كل ما يمكن أن نقوله لك انه أحضر سيارة اجرة وأخذ فيها حقائبه ، ولا نعرف وجهته

وبعد اسبوعين كان يقضى عطلتهما فى دوفيل ، بدأت مسألة اختفاء آثار راؤول تثير قلقه

هل ذهب الى المستعمرات التى جاء منها ؟ ان هذه النية لم تظهر لديه كما انه ليس من المحتمل أن يقرر مثله الاستقرار فى الريف أو الاقاليم

وفى خلال هذه المدة تكونت لدى فرانسوا عادة جديدة ، ففى كل ليلة من ليالى هذين الاسبوعين كان يقابل فيفيان فى حانة بوبول ، ويحتسيان معا كأسا من الشراب ، ثم يتمشيان جنبا الى جنب الى الفندق الصغير حيث ينزلان فى حجرة معينة لا يغيرانها ، وكانت فيفيان طول الوقت تدرسه بشيء من الفضول ، وكانت تكلمه أحيانا عن ابنه ، وطلبت منه ذات مرة أن يريها صورة بوب ، ولهذا طلب من أحد المصورين فى يوم الاحد التالى أن يلتقط له صورة على الشاطىء فى دوفيل

وكانت باريس مقفرة تقريبا ، وارصفة شارع السرور تكاد تخلو من المارة ، وهكذا كانت فيفيان خالية تقريبا من العمل ، فقال لها :

ـ الديك مانع أن نتعشى معا ذات ليلة ؟

ـ وانت ؟ الا تخاف أن يرانا اهل المنطقة معا ؟

وفى تلك الليلة اكتشف فرانسوا للمرة الاولى انها تسكن على مقربة منه فى شارع دى لامير ، وكانت دهشته أشد عندما امتنعت عن التصريح له بالصعود معها الى مسكنها كما كان يريد ، لان صاحبة البيت لا تسمح لها باستقبال زوار من الرجال ، فالبيت محترم للغاية ، وكأنه جزيرة تعتصم بها الفضيلة فى محيط الشارع ، حتى ان قسيسا عجوزا كان يقيم فى مسكن بذلك البيت فى الطابق الرابع

وكانت الساعة حوالى التاسعة مساء ، وقد وقفا معا على الرصيف فى ضوء الشارع الخافت وعندئذ لمح فرانسوا على الجانب الآخر من الشارع بالقرب من باب بيته شخصا يبدو ان له مدة طويلة فى الانتظار ، وعرف فى هذا الشخص راؤول على الفور ، فودع فيفيان

www.ibtesamah.com/vb

بسرعة واتجه اليه ، فبادره راؤول قائلا :

ـ ارجو ألا أكون ازعجتك فقد أخبرتنى البوابة انك تعود فى نحو هذه الساعة ، فقررت أن انتظرك

ـ هلّ انتظرت طويلا ؟

ـ نصف ساعة تقريبا ، هلّ لك أن تشترى لى شرابا ؟

وكان الجو رطبا فى الشارع وليست لدى فرانسوا رغبة فى الانفراد بأخيه فى المسكن الحار ، ولا سيما أن بوب مسافر ، ولهذا كان المسكن مهملا غير مرتب ، وفضلا عن هذا فان الجلوس فى البيت معناه شراء زجاجة كونياك ، وشراء زجاجة كونياك معناه أن راؤول لن ينصرف قبل أن يأتى عليها بأكملها ، ولهذا قال :

ـ هيا بنا الى شرفة مقهى الدوم

ـ الا تشرب شيئا يا فرانسوا معى ؟

ـ كأسا من ماء فيشى

ـ اعطنى انا كأسا مضاعفا من الكونياك

وكان واضحا ان شيئا ما تغير فى راؤول ، فهو أولا لم يظفر بالتأكيد فى يومه هذا بما تعوده من كميات الشراب ، لأنه هادىء وأقل ميلا للعدوان واللدّع باللسان ، وقميصه نظيف تقريبا

ـ هيه يا فرانسوا ؟ كيف حال مارسيلّ معك ؟

وتساءل فرانسوا ان كان راؤول قد اشترى جريدة أخيه الانتخابية ورأى اسمه على رأسها مديرا للتحرير ، وهز راؤول رأسه وهو يشرب الكأس جرعة واحدة وقال :

ـ انك لم تضيع وقتك سدى يا صغيرى !

ـ قيل لى فى فندقك انك رحلت

ـ هل ذهبت وسألت عنى ؟

ـ لقد دهشت لانقطاع أخبارك ، وقد مضى الآن شهر تقريبا منذ مائتى جيرمين

وهذه العبارة الاخيرة التى كان يكررها بينه وبين نفسه طول النهار فى الثلاثة أيام الاولى من وفاتها قد أصبحت الآن عسيرة النطق على لسانه ، وقال راؤول بصورة غامضة :

ـ كانت عندى مشاغل يجب أن أسويها ، الديك مانع أن تطلب

www.ibtesamah.com/vb

لى كأسا اخرى من الـكونياك ؟

ـ كأسا مضاعفة من الـكونياك ايها الساقى

وجعل راؤول يروغ كلما اتجه الحديث الى شـــئونه ، ويجلس صامتا ينظر الى اخيه وهو شارد

ـ اتنوى أن تبدأ اعمالك هنا فى باريس يا راؤول ؟

ـ كلا

ـ اتعتزم العودة الى المستعمرات ؟

ـ هناك عقبات تحول دون ذلك

ولم يستطع فرانســـوا بعد ثلاث سنوات أن يعرف عن هـــذا الموضوع اكثر من تلك الـكلمات القليلة ، فلا بد ان شيئا غير مشرف حدث فى تلك البـــلاد النـــائية ، الا ان راؤول ظل ملتزما الصمت والـكتمان

اليس غريبا انه وقد امضى فى المستعمرات كل تلك السنوات ان يعود من المناطق الاستوائية وليس فى جيبه درهم ؟

وبعد الـكأس الخامسة اعترف راؤول بأنه يبحث عن عمل

ـ واى نوع من الاعمال تبحث عنه ؟

ولم يكن ليصدق ان شقيقه وهو فى سن السادسة والاربعين فى موقف مماثل لموقفه شخصيا منذ شهر ، يعيش على طرق الابواب وقراءة الاعلانات المبوبة ، والتردد على مكاتب التخـديم ، فراؤول اكبر الاخوة الثـــلاثة ، وكان يتمتع دائما فى نظر فرانســـوا بمكانة واحترام ولا سيما بعد سفره الى المستعمرات

لقد كانت زجاجتا الـكونياك والتورتة بالقشدة ومســـدس بوب هى آخر اعمال البذخ والاسراف التى اقدم عليها راؤول ، وبسبب افلاسه طلب الليلة من فرانسوا أن يدعوه الى كأس على حســـابه ، ولـكن فرانسوا لم يفهم جيدا

ـ وهل وجدت عملا ؟

ـ بدات فعلا العمل الجديد يوم الاثنين الماضى

ـ وما هو هذا العمل الجديد ؟

ولم يحاول راؤول أن يثير شفقة اخيه أو يقترض منه نقودا

ـ انا رئيس العمال فى سوق الخضر والفاكهة فى شارع كوكيير ،

www.ibtesamah.com/vb

وابدا العمل فى الحادية عشرة مساء عندما تبدأ سيارات النقل فى القدوم من الريف ، فأسجل فى نوتة الغرائر والاقفاص التى يفرغها الحمالون ، وهى مهنة ليست بالصعبة ولا بالمتعبة ، لان العمل الشاق يقوم به الحمالون المساكين

ـ واين تقيم ؟

ـ استأجرت حجرة فى بيت بالقرب من محل عملى ، وهذا هو الموقف الآن يا صغيرى ، وانى مسرور لانى قابلتك الآن وتلطفت بدعوتى الى هذه الكئوس ، وربما فى يوم من الايام سأمر عليك مرة اخرى واطلب منك ان تدعونى الى الشرب مثل هذه الليلة

▭

وفى جريدة اخيه نشر فضيحة مدبرة ضد جانينى ، بسببها ارسل جانينى فتواته فضربوه تلك العلقة الساخنة فى مطعم فوكيه ، وقد أعجبته هذه المسألة فقرر أن يجربها لحسابه الخاص ، وفكر فى أن يشرك معه فى العمل اخاه راؤول ، لا بدافع من الشفقة أو الواجب بل لاعتقاده ان راؤول يصلح لهذا العمل

ـ هل لديك مانع يا راؤول فى أن تعمل معى اذا اسست مجلة مستقلة لتجارة الفضائح ؟

ـ وما عملى فيها ؟

ـ لا ادرى بالضبط ولكنك ستساعدنى على كل حال

ـ اظن ان فضيحة جانينى فتحت شهيتك

ـ أجل ، وهناك فضائح أخرى ايضا ، فكر فى الموضوع جيدا ثم قل لى رايك فيما بعد

ـ مبدئيا ليس عندى مانع

ـ ستكون حرا طبعا فى تصرفاتك ، ومواعيدك

ـ هذا ما يدفعنى الى القبول ولكنى اريد ان اسألك سؤالا ؟

ـ اسأل ما شئت

ـ هل سيكون بوسو فى هذه الجريدة ؟

ـ سيكون هو رئيس التحرير

ـ ومارسيل ؟

ـ كلا

www.ibtesamah.com/vb

ـ ورينيه ؟

ـ ربما ، الى حد ما ، ولكن ليس باسمها الصريح على كل حال

ـ هذا يعنى انها ستقدم راس المال

ـ ستقدم جزءا منه

وكانت كل احاديثه مع راؤول تجرى فى شرفات المقاهى ، لان راؤول كان يعبد مقاهى باريس بعد السنوات الطويلة التى قضاها فى الغابات ومجاهل المستعمرات البعيدة عن العمران ، ولهذا كان يجلس احيانا ساعات طويلة فى شرفة مقهى وحده ، لا يبالى بالمطر والرياح

وفى ذات ليلة استقر رأى راؤول وقال لفرانسوا :

ـ قررت أن اجرب هذه الصنعة الجديدة ابتداء من الاثنين القادم فان لم تكن غيرت رايك ستكون منذ ذلك اليوم رئيسا

وكان فرانسوا يعجب هل لدى اخيه نصيب من الماسوشية اى حب تعذيب النفس يجعله يتلذذ بتلقى الاوامر من ابنه الاصغر الذى كان يعتبره الى وقت قريب خائبا مغفلا ؟

ولم يفت راؤول ان يضع يده على ذراع فرانسوا فى تلك الليلة ليقول له :

ـ اسمع يا فرانسوا ، سؤال واحد قبل أن نتفق نهائيا

ـ ما هو ؟

ـ يجب أن نكون صريحين حتى لا نتشاحن ، اظن انك تعلم جيدا اننى سكير مدمن

ـ اعلم هذا جيدا

ـ وهانذا انذرك انى سوف لا أغير عاداتى ، فان كان يوافقك أن أظل سكيرا مدمنا وأنا اعمل تحت رئاستك ، فليس عندى ما اقوله بعد ذلك

وقد استمر هذه السنوات سكيرا مدمنا من غير أن يصاب عمله من جراء ذلك باختلال او اضطراب ، وكانت هناك دائما مخابىء سرية فى المكتب لزجاجات الكونياك الذى يشربه فى كل وقت وفى كل مكان

www.ibtesamah.com/vb

تجارة الفضائح

لما خرج فرانسوا من المصعد متوجها الى المطبعة رأى الرجل جالسا على مقعد فى الشارع تحت شجرة على مسافة عشرين خطوة تقريبا من مدخل العمارة . ولم يفكر الرجل فى اقتفاء اثر فرانسوا فبفرض انه كان مرابطا هناك ، لمراقبة فرانسوا ومجلته ، وهو أمر فى حد ذاته محتمل جدا ، فمن الواضح انه لم يكن مهتما بترصد حركة المحرر بل بترصد الزوار الذين يحضرون الى المجلة ولا شك انه كان يحاول عمل قائمة بأسمائهم ، فهل كان هذا الرقيب يطمع فى أن يرى بيبيف (ومعناه رجل العجل) داخلا الى المبنى ؟ ان كان ذلك كذلك فهو دليل على ان مفتش البوليس السابق على حق فى احتياطاته البالغة

ووجد فرانسوا شيئا من الصعوبة فى اخراج عربته من الصف ، وعند ميدان البورصة وجد بعض الصعوبة فى العثور على مكان يضع فيه سيارته ، لان الساعة كانت أشد ساعات الصباح نشاطا فى البورصة ، وكانت أصوات مندوبى المضاربين تسمع واضحة فى الشارع عند أعمدة المدخل

وكانت دار الطباعة تقوم باخراج عدد كبير من الصحف والمجلات بعضها تجارى وبعضها مالى ، وبعضها من صحف النقابات مثل جريدة اتحاد الجزارين الفرنسيين ، وكان كل واحد من رؤساء التحرير له يوم معين فى الاسبوع يستخدم فيه المكاتب ذات الجدران الزجاجية حيث يستطيع أن يرى وهو جالس آلات الطباعة وهى تدور ، وكانت هناك حركة مستمرة من الدخول والخروج يقوم بها السعاة والمخبرون ، وكل منهم يحمل بروفات قديمة

وكان بوسو جالسا كالعادة مشمر الاكمام طويل اللحية فى أحد هذه المكاتب وأمامه ثلاثة أكواب من البيرة ، فهو سكير مدمن مثل راؤول وبيبيف ، وهو رجل بدين جدا حتى انه يجد صعوبة فى دخول سيارة التاكسى ، ويشرب البيرة من الصباح الى المساء ،

www.ibtesamah.com/vb

ثلاثين كوبا أو اكثر ويدخن الغليون طول النهار

وناداه فرانسوا قائلا :

ـ أتستطيع أن تأتى معى الآن يا فردينان ؟

وكان على الرغم من ضخامة جسمه خفيف الحركة خفيف الظل ، فقفز من مكانه على الفور قائلا :

ـ سأعطى جاستون البروفات واخرج معك فورا يا زعيمى

وجاستون هو مدير التوضيب فى المطبعة

ـ عسى يا زعيمى الا تتخمنى بوجبة من وجباتك اياها التى يتوسطها الديك الرومى المحشو على الطريقة التركية

وهذا الكلام فى لغة السيد بوسو معناه انه يتمنى هذه الاكلة بالذات ، وقد اخذه فرانسوا الى مطعم طيب يعتبر من أحسن مطاعم باريس على بعد خطوات من المطبعة ، وهو مكان يؤمه المضاربون فى البورصة وبعض الساسة ، وربما بين حين وحين أحد الوزراء ، أو صاحب جريدة يومية كبرى لتناول الغداء

وصاح كبير الخدم بمجرد دخولهما

ـ مائدة للسيد فرانسوا !

فان فرانسوا مشهور بسخائه مع الخدم ، والجميع اينما حل يرحبون به باحترام ، ولم يكن قد شبع بعد من ارتياد المطاعم الفخمة ، فلم تزل تبره رغم مضى ثلاث سنوات على حياة الرخاء التى دخل فيها ، وطلب لبوسو قطعة من صدر الديك الرومى المحشو وطبقا كبيرا من أضلاع الضأن ، أما هو فبعد أن استعرض مع الخادم الاصناف المختلفة ، طلب صنفا معقدا اعتمادا على طرافة اسمه باعتباره من المبتكرات الغالية الثمن

وبعد أن وضع الخادم أمامهما الشراب والمشهيات انتظارا للطعام قال فرانسوا بهدوء تام :

ـ والآن ياعزيزى فردينان فى وسعنا أن نتكلم

ـ لن اطيل عليك ، والواقع انى ظللت نهبا للقلق طول النهار فعندما وصلت الى المطبعة فى الساعة العاشرة والنصف ادهشنى ألا أجد البروفات على المكتب كما هى العادة ، فظننت أن جاستون تأخر أو انه نسينى ، فذهبت لاتبين ما هى المسألة ، فأنت تعلم

www.ibtesamah.com/vb

يا زعيمى الى أى حد تكون المطبعة مشغولة صباح الثلاثاء فى اعداد ثلاث صحف للصدور فى يوم واحد ، وصرخت فى جاستون أطلب البروفات ، فصرخ فى وجهى قائلا ان بروفاتى وضعت على مكتبى منذ ساعة كاملة ، وذهبت ابحث عنها فى كل مكان ، وسألت الخادم الذى يجمع الاوراق المهملة ، ثم سألت البواب ، واخيرا علمت انهم شاهدوا رجلا يحمل فى يده بروفاتنا ، ولكنهم لم يعيروه اهتماما لانهم ظنوه من موظفى جريدتنا

ـ وما اوصافه ؟

ـ قصير بدين يلبس قبعة من القش ونظارة سميكة ، وفى يده حافظة من الجلد ، وكانت تبدو عليه العجلة ، وقد لاحظ البواب ان حذاءه كان باليا جدا

ـ أهو من البوليس ؟

ـ لا أدرى ، ولكنى على كل حال لا أظنه من ادارة الامن العام ، فانى أعتقد انى اعرف جميع من يعملون هناك ، ولو كان من رجال الضبطية القضائية ما كان ليكلف نفسه كل هذه المشقة ، انه كان حريا أن يأتى لمقابلتى مباشرة ويطلب منى البروفات صراحة

ـ أتظنه من أعوان جانينى ؟

ـ ان أعوان جانينى أشد فظاظة من هذا بكثير ، ولكنى لا أستبعد أن يكون هذا الشخص من قبل المخابرات ، فان هؤلاء الناس يقومون بأعمالهم بناء على توجيهات من المصادر العليا ، واخشى يا زعيمى ان تكون جسارتك تجاوزت الحدود ، وأن يكون الكبار قد قرروا التخلص منك

ـ بهذه المناسبة من صاحب صورة الغلاف هذه المرة ؟

ـ انه شخص مأمون الجانب عميل من عملاء الدفع مقدما

وتذكر فرانسوا انه رأى اكلشيه الغلاف يمثل فتاة حسناء ، ربما كانت من ممثلات السينما الناشئات وقد فكر عشيقها ان يقدم لها هدية فى صورة دعاية ، فان من عادة الكرباج ان تنشر على غلافها صورة فتاة من هذا النوع ، او رجل من رجال الاعمال نظير مبالغ تدفع مقدما ، وتنشر مع الصورة غالبا مقالة دعاية صغيرة يتقاضى عنها المحرر مبلغا كبيرا

www.ibtesamah.com/vb

ولكن المبالغ الجسيمة حقا هى التى تدفع عن المقالات التى لا تنشر والصور التى لا تنشر ، وهذه المقالات يكتبها بوسو بعناية فائقة على مائدة فى مشرب من مشارب البيرة وقد اخرج طرف لسانه من بين شفتيه كأنه تلميذ يؤدى امتحانا عسيرا ، والباقى متروك للسيد شارتييه الذى كان أستاذا بارعا فى هذا النوع من المسائل ، اذ كان يقول لفرانسوا :

ـ ما هو الحد الادنى الذى تطلبه يا زعيمى ؟ عشرين الفا ؟ عشرة آلاف ؟

وكان من دواعى الكرامة عنده ان يعود دائما بمبلغ يزيد كثيرا عن هذا الحد الادنى ، وفى ذات مرة رجع بخمسة اضعاف المبلغ المطلوب ، وكانت طريقته فى العمل لا تتغير اطلاقا ، اذ كان يذهب بهدوء تام بالمترو أو الاوتوبيس الى عنوان الرجل صاحب الشأن سواء كان هذا العنوان بيتا أو مكتبا

وكانت له وسائله الخاصة فى الدخول على الشخص صاحب الشأن وهناك يقول له بكل بساطة :

ـ انى آسف جدا لازعاجى لك ، ولكنى مضطر ، ولا تؤاخذنى على اضطرابى لانى معرض للفصل من وظيفتى ، ومع هذا قررت ان أتحدث اليك بصراحة مهما كانت النتائج ، ولكنى ارجو منك أن تعدنى بأن يظل هذا الحديث سرا بيننا ، فنحن فى اوقات عصيبة ورجل مثلى فى الاربعين من عمره يجب ان يحافظ على مصدر قوته وقوت أولاده ...

هذا مع العلم بأن شارتييه لم يتزوج اطلاقا !

ـ ومن اجل قوت الاولاد يضطر رجل مثلى الى قبول عمل مشين مخجل لدى شخص لا خلاق له مثل فرانسوا لكوان ، ألم تسمع به ؟ الحمد لله ، ولكنه رئيسى على كل حال للأسف الشديد ، وعملى يتيح لى ان اعرف ما يجرى داخل جدران مجلة الكرباج . والآن هاك شيئا استطعت ان اختلسته اليوم من أحد أدراج المكتب !

ويقدم للرجل البروفات المبللة لذلك المقال الخبيث الذى حرره بوسو ، وبه معلومات عن حياة الرجل الخاصة ، مع المبالغة فى تجسيم النواحى المشينة للسمعة ، وبعد أن يقرأ الرجل المقال :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ... انى ياسيدى على كلّ حال لم افقد ضميرىَ ومبـادئى ، ولهذا قررت ان انبهك كى تأخذ حذرك ، وان كنت لا ادرى ماذا تستطيع ان تفعلَ ، لان الجريدة ستصدر بعد غد ، ولـكن ربما لم يزل فى الوقت متسع ...

وكانت هذه الحيلة تنجح تسع مرات فى كلّ عشرة

ـ ويجب ان انبهك ياسيدى الى ان فرانسوا لـكوان نفسه ربما كان لا يعلم شيئا عن هذا المقال القذر ، فهو قليلُ الاهتمام بشئون التحرير ، ولـكن لديه محرر خرب الذمة ... وربما اذا دفع سيدى لهذا المحرر مبلغا متواضعا ، استطعت ان اقنع هذا الرجـلَ برفع المقالَ من المطبعة

ويقبلُ الضحية ، ويعطى شارتييه مبلغا معقولا ليقوم بالوسـاطة لدى المحرر المزعوم خرب الذمة ، ويذهب شارتييه مسرعا ليقوم بالمهمة ، ولـكنه لا يلبث ان يعود وقد ارتسمت على وجهه جميـع علامات الاسف وخيبة الامل

ـ ما اسوأ حظى يا سيدى ! لقد كنت واثقا من انى سأتمكن من ارضاء هذا الرجل بمبلغ تافه من المال لانى اعلم يقينا انه غارق الى اذنيه فى الديون ، ولـكنى وجدت آلات الطباعة بدأت تدور بسرعة وكى نوقفها الآن لا بد من دفع تعويض كبير للمطبعة وثمنا للورق الذى استهلك فى الطباعة

ويجد المسكين نفسه مضطرا لدفع رقم خيالى

وحتى فى حالة فشلَ المفاوضات فلا بأس من صـدور العدد وبه المقال موضوع المساومة ، وذلك حتى يتعظ الآخرون ويبادروا بالدفع بالتى هى احسن بمجرد توجه السيد شارتييه لزيارتهم

▭

وتوقف بوسو عن المضغ لحظة ليقول فجأة :

ـ على فكرة ، تلقيت اليوم اشارة من بيبيف

واخذ يفتش فى جيوبه الى ان اخرج الاشارة وهى مكتوبة كالعادة بالقلم الرصاص وبدون توقيع وعلى ورقة من أوراق المقاهى

ـ يجب ان أقابلَ الزعيم عصر اليوم ، السبب هام جـدا ، اذا توجه الى البار الواقع على ناصية شارعى واجرام وبرى ، سأتصلَ

www.ibtesamah.com/vb

به هناك تليفونيا لاخبره بمكانى

واختلس بوسو نظرة الى فرانسوا وهو يقرأ هـــذه الرســـالة الغامضة ، فوجده هادئا للغاية ، ثم سمعه ينادى بكلّ وقار :

ــ الحساب من فضلك !

وكأن شيئا خطيرا لا يتهدد حياته التى تقوم على تجارة الفضائح وتحدى الناس والقانون

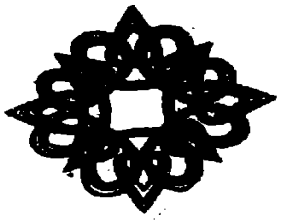

www.ibtesamah.com/vb

مفتش البوليس السابق

كان عليه ان يطلب شارع برسبورج مرة اخرى ، وكانت فيفيان قد تعودت هذا الغاء أو تأجيل مواعيدها فى آخر لحظة

ـ لا تنتظرينى اليوم ، فلا اظن انى سأتمكن من الحضور قبل المساء ، وربما لن أتمكن الليلة اطلاقا

ـ هل ستنام الليلة فى شارع دى لامير ؟

ولم تكن فيفيان وحدها ، بل كانت معها صديقتها ميمى التى تسكن الشقة التى فوقها مباشرة ، وهى محظية لرجل من أصحاب السفن فى مدينة نانت يأتى مرة واحدة فى الاسبوع الى باريس ، وفى يوم معين بالذات لا يتغير ، وكانت المرأتان تقضيان ساعات طويلة معا تتحدثان أو تحيكان الثياب ، لان فيفيان لم تزل مصرة على أن تصنع ثيابها البيتية بيديها

ـ ربما ذهبت الى السينما مع ميمى ، ولكن هل كل شىء على ما يرام ؟

ـ طبعا

ـ ألا تخفى عنى شيئا ؟ الست قلقا ؟

▭

ورن جرس التليفون وكان المتكلم بيبيف الذى حدد المقابلة هذه المرة فى مقصف اسمه جلوب ، فى شارع استراسبورج ، وهو مشهور بانه ملتقى الكومبارس وصغار ممثلى المسرح والسينما

ـ اصعد الى الطابق الثانى يا زعيمى وستجدنى بالقرب من قاعة البلياردو

وكان بيبيف بدينا قصيرا ، أشبه فى شكله بالغوريلا ، ولم يكن يحتسى شيئا سوى الكلفادوس ، ويعرف جيدا اين يقدمون احسن أصنافه ولشدة ادمانه كان صوته منذ العصر يبدو أجشا

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل انت واثق يا زعيمى ان أحدا لم يتتبع خطواتك وانت قادم ؟

ولما لم يجبه فرانسوا بشيء ، زمجر قائلا :

ـ لا تغتر بنفسك يا زعيمى ، فانت لست الشخص الوحيد فى هذه المهنة ، وقد سبقك فيها من هم أبرع منك بكثير ولكنهم وقعوا ، ولست ادرى هل لاحظت انهم عينوا لمراقبة مكتبك فى الشانزلزيه مفتشا خاصا ، ولست بحاجة للذهاب الى هناك لاعرف ان هذا المفتش هو شاريو ، وهو مفتش جديد فى ادارة الامن العام ، ثم لا تنسى الرجل الذى توجه هذا الصباح الى المطبعة وانصرف بالبروفات !

ونظر بيبيف الى فرانسوا نظرة تحد ، وهى نظرة تجعل شكله قبيحا تشيح عنه الوجوه

وكان بيبيف مفتشا رسميا فى البوليس سنوات طويلة ، ولكنه كان سكيرا عربيدا صخابا مرتشيا ، وكان تعيينه فى تلك الوظيفة بفضل زوج اخته الذى يشغل مركزا محترما فى وزارة الداخلية ، بيد ان نفوذ زوج اخته لم يستطع أن يبقيه فى وظيفته تلك أكثر من ثماني سنوات ، لانه كان يفرض الاتاوات على الحانات وعلى المومسات اللواتى تحت اشرافه الرسمى ، وكانت هذه الاتاوات نقودا فى بعض الاحيان ، وعينية فى الاحيان الاخرى ، ومن كانت تحاول التمرد على سلطانه كان يستغل نفوذه ويجعلها تدفع الثمن غاليا جدا

واخيرا تخلصت منه ادارة البوليس بأن احالته الى التقاعد قبل الاوان ، ولم يغفر لرؤسائه السابقين فى البوليس هذا العمل

وأوشك فرانسوا ان يضيع فرصة التعرف الى بيبيف عندما وصله منه اول خطاب ، وكان غفلا من الامضاء ، ولا يبعث على كثير من الثقة ، مما جعله يرجح بعد استشارة بوسو ان صاحبنا محتال او جاسوس ، ولكن فى لحظة الهام خطر لفرانسوا ان يجرب ذلك الشخص ، فالتقى به وقدم اليه بيبيف معلومات ثمينة عن فضيحة قديمة للبقال الثرى مرشح المجلس البلدى جانينى ، وكانت هذه الفضيحة هى التى قضت على مستقبل جانينى السياسى ، مما اثلج صدر شقيقه مارسيل وزوجة أخيه رينيه ، لان ذلك كان فى مصلحة

www.ibtesamah.com/vb

الانتخاب وفرانسوا يشرف على جريدة أخيه

ومن ذلك اليوم وريثيه تعتقد ان فرانسوا صانع معجزات لا يشق له غبار ، واستطاع أن يحصل منها على ثمن ضخم بحجة دفعه الى أيدى من أمدوه بالمعلومات السرية

ومن هذا اليوم وفرانسوا على صلة مستمرة بمفتش البوليس السابق ، الذى يستغل أسرار وظيفته القديمة فى تموين فرانسوا بالمعلومات ، وعلى أكتافه انشئت مجلة الكرباج

وظل الاتصال بين بيبيف وفرانسوا طوال هذه السنوات الثلاث عن طريق التليفون ، وكان هذا المفتش السابق يجد لذة كبرى فى تنغيص حياة رؤسائه السابقين عن طريق هذه المجلة ، ولكنه كان فى غاية الحذر حتى لا يتمكن المخبرون السريون من اثبات اتصالاته بمجلة الكرباج

وكان فرانسوا نفسه فى أشد الحيرة أحيانا كيف تصل يد بيبيف الى هذه الوثائق السرية التى يقدمها لمجلة الكرباج عن هؤلاء الاشخاص البارزين ، كى تستخدم فى تهديدهم وابتزاز أموالهم

واليوم ، فى مقهى الجلوب كان بيبيف يبدو أشد عصبية من المعتاد ولا بد انه كان من هواة البلياردو ، لانه ظل طوال مدة الحديث يتابع حركات الكرات على أقرب مائدة بنظراته

ـ انت طبعا تجهل كل الجهل ما حدث أمس فى ادارة الامن العام ؟

ولما لم يجب فرانسوا لانه ليس لديه ما يقوله ، وظل منتظرا بقية الحديث بمنتهى الصبر ، استطرد :

ـ لقد استدعى وزير الداخلية احد المفتشين ، وهذا طبعا امر لا يحدث كل يوم ، وكان اثنان من كبار بوليس أمن الدولة حاضرين فهل تعلم من هو الذى كان موضوع الحديث فى اجتماع هؤلاء السادة الاكابر ، وقد أضيء النور الاحمر على باب الوزير علامة على انشغاله فى لجنة هامة ؟ ان هذا الشخص اسمه فرانسوا لكوان وصحيفته المسماة الكرباج ، واما اسم المفتش فهو جوريس

ـ وهل هو الذى حضر اليوم صباحا الى المطبعة وانصرف بأوراق البروفات ؟

ـ هو بعينه

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد خطر هذا لبوسو ايضا بناء على الاوصاف التى ذكرت له

ـ ان بوسو ليس ابلها على طول الخط ، وله مدة طويلة فى هذه المهنة ، ولـكن من المستحسن ان يبدى مزيدا من الحذر والاحتياط فيما ينشر بالمجلة ، وقد تظن ان هذه الحركة بتأثير من جانبنى ، ولكنى أؤكد لك ان المسألة اخطر من هذا واهم ، وما داموا قد اطلقوا رجلا مثل جوريس وراءك ، فمعنى ذلك انهم مصممون على الايقاع بك

ـ ولـكن لماذا ؟

فنظر اليه بيبيف بوجهه القبيح نظرة أقبح ثم اخرج من جيبه قصاصة من جريدة أو لعلها على الارجح قطعة من البروفات

ـ من الذى أمر بطبع هذه ؟

وكانت الـكرباج تطبع كل أسبوع عدة صفحات تحت عنوان : « هل هذا صحيح » ؟ وكانت القصاصة كما يلى :

ـ هل صحيح ان امرأة من اشد نساء ضاحية سـان جرمان اناقة ، وهى الـكونتيس ف ... التى يعتبر صـالونها من ارقى صالونات باريس ، ليست فى الحقيقة كونتيس ، وان والدها الذى يعد ملك زيت السلطة ، بدأ حياته بائع جوز هنـد فى مدينة حوران بالجزائر ، وهل صحيح ان هذه الـكونتيس نفسها كان لها شـباب عاصف حافل ، وان أحد عشـاقها السـابقين قد حظى بترقيـة استثنائية كبيرة أخيرا فى مصلحة هامة من مصالح الحكومة ؟ وهل صحيح ان شغف بعض كبرائنا بلذات تتوفر فى بعض المخادع ربما كانت ذات صلة وثيقة بهذه الترقية ؟

وبعد أن قرأ فرانسوا هذه القصاصة قال بهدوء :

ـ ولـكن هذا الخبر لم يظهر بعد فى المجلة !

ـ تماما ! انه سيظهر فى عدد الغد ، ما لم يصادر ذلك العدد ، الم تفهم بعد ؟ ان هذا الخبر الذى لم يظهر بعد هو الذى كان محور اجتماع هؤلاء السادة فى مكتب وزير الداخلية أمس ، وكان هو ايضا السبب فى زيارة جوريس للمطبعة هذا الصباح ، ومعنى هذا ان هناك جاسوسا للبوليس قرأ البروفات قبل أن تعد للطبع

ـ هل تشك فى أحد من رجالنا ؟

ـ ربما ، فأنا لا اثق فى أحد ، حتى ولا فى زوج شقيقتى ، ولكن

www.ibtesamah.com/vb

هناك حلا آخر

ـ ما هو ؟

ـ لماذا لايكون الشخص الذى كتب هذا الخبر هو بعينه الشخص الذى حمله الى الوزارة ؟

ـ لم أفهم

ـ اعلم انك لم تفهم ، وأنا هنا كى أفسر لك ما لم تفهمه ، انك توافقنى على ان هناك أكثر من شخص فى باريس يسعدهم أن يروك تتحطم ويروا الكرباج تغلق ابوابها ، فلنفرض ان واحدا من هؤلاء الاشخاص كتب هذا الخبر وأرسله اليك ثم حمله الى الوزارة

ـ فهمت

ـ انك لم تفهم شيئا ، هل تعلم من هو الوزير الذى يلمح اليه هذا الخبر باعتباره مغرما بلذات المخادع التى تقدمها الكونتيس ف ؟ انه وزير المالية ، وهو من جميع الوجوه رجل خطير ، والكونتيس ف محظيته منذ زمن طويل ، حتى ان كثيرا من اللجان الوزارية كانت تعقد فى منزلها بشارع سان جيرمان ، وقد وصلت اليه البروفة فثار غضبه ولم يضيع وقتا فى الاتصال بوزير الداخلية الذى لا يمكن ان يرفض له طلبا ، وهذا هو السبب فى اجتماع الامس بمكتب وزير الداخلية على صورة مجلس حرب ، وفى هذا الصباح ذهب جوريس الى المطبعة ليتأكد ان الخبر موجود فعلا بين مواد عدد الغد

ـ سأتصل فورا ببوسو تليفونيا

ـ بل من المستحسن أن تذهب الى هناك بنفسك لان الصيغ النهائية للجريدة قد تم صبها الآن ، ومن المحتمل أن تدور آلات الطباعة فى اية لحظة ، ومعى الآن خبر يصلح ليحل محل هذا الخبر ويملأ الفراغ ، فخذه الى بوسو مع تحياتى ، وبذلك نسخر منهم ، لانهم سيبحثون كيف عرفت الكرباج السر ، وسيكون الامر اشد اضحاكا وهزلا اذا كان امر مصادرة الجريدة غدا قد صدر اليوم فعلا ، واذا بهم يجدون العدد خاليا من جسم الجريمة !

▭

ولما غادر فرانسوا المطبعة بعد أن ترك بوسو ثائرا بسبب تلك

www.ibtesamah.com/vb

المشكلة التى ستؤخر الطبع ، شعر انه بحاجة الى الحديث مع راؤول، وكان يعلم انه سيجده حتما فى هذه الساعة على شرفة التافرنا ، لان هذه الحانة هى ملتقى موظفى المستعمرات السابقين من مدغشقر الى الهند الصينية الى افريقا الاستوائية ، وتستطيع ان تفرقهم لاول وهلة من جلودهم الداكنة وشكواهم من اوجاع الكبد ، وربما سمعتهم يتحدثون فيما بينهم بلغات تلك البلاد النائية فى سرور

وكان راؤول لا يتحدث الى هذه المجموعة ، بل يجلس دائما بمفرده يشرب الكونياك ، ويصغى لما يقولون

ولما حدثه فرانسوا بموضوع البوليس وادارة الامن العام ، لم يظهر اكتراثا ، بل هز كتفيه وقال :

ـ وما الفرق بين مطاردة البوليس لك اليوم او بعد سنة ؟ فلا أحسبك كنت تتوقع ان تستمر فى تجارة الفضائح الى الابد

ولم يستطع فرانسوا أن يبقى مدة طويلة معه لاقتراب وقت العشاء فى شارع دى لامبر حيث يتعشى دائما مع بوب ، وترك سيارته أمام الباب ولم يودعها الجراج

ولما سمع بوب طرقة والده التقليدية على الباب اسرع يفتحه ، ولم يظهر على مدام جوديشون مربية بوب منتهى السرور لوصول فرانسوا لتناول العشاء ، لانها فى هذه الحالة كانت لا تجلس معهما الى المائدة ، ولهذا قالت :

ـ ليس عندى الليلة سوى عشاء بارد ، انك لم تتصل بنا لتخبرنا انك ستحضر للعشاء

وكان قد ادخل التليفون فى المسكن كما انشأ حماما حديثا بالكهرباء ، ومطبخا كهربائيا ايضا ، وسأله ابنه :

ـ هل انت خارج الليلة يا ابى ؟

فهل كان بوب متلهفا ايضا على خروجه ؟ كانت هناك اوقات يحضر فيها الى البيت للعشاء ويشعر انه ثقيل الوطأة ومتطفل على ابنه ومربيته ، اذ كانت فترات الصمت تطول ، وتتبادل مدام جوديشون مع بوب نظرات لا يفهم معناها

هل كانت مدام جوديشون تعلم ان الغلام ذهب الى المقابر هذا الصباح ؟

www.ibtesamah.com/vb

ربما ، وربما أيضا تكون قد اشترت له الازهار بنفسها ، ولا بد أيضا انها استيقظت فى موعد أكثر تبكيرا من المعتاد كى تعـــد له الافطار ، انهما يظنان انه لا يدرى ، وكم كان يجب أن يعلمها انه يدرى ، وأن يقول لبوب انه ذهب مثله الى المقابر

وقال لابنه :

ــ لقد ابقيت السيارة أمام الباب حتى نخرج نحن الاثنان فى نزهة قصيرة هذا المساء ، هذا طبعا اذا توفرت لديك الرغبة .

ــ انك تعلم دائما انى أحب ذلك ، ولـكن ...

الا تكون مدام جوديشون بالايحاء اليه بالاشارات من وراء ظهر فرانسوا ؟

ــ ولـكن ماذا ؟

ــ لا شىء ، سأفعله غدا صباحا

ــ ان كان شيئا هاما ...

ــ كلا يا أبى ، انى أحب أن أخرج معك

كان يحب السيارات ، ولا سيما تلك التى اشتراها فرانسوا منذ بضعة أسابيع من أجل الصيف ، فهى من النوع الكبروليه المفتوح ، ومن حين الى حين كانا يخرجان للنزهة فيها آخر النهار على طريق دوفيل ، ويتناولان المرطبات فى مقصف من تلك المقاصف المتناثرة على طول الطريق

ــ ومتى تعلمنى القيادة يا أبى ؟

ــ ربما هذا الصيف فى الريف ، أو على شاطىء البحر

ــ هل ستذهب معى الى الشاطىء هذا الصيف ؟

ــ أرجو أن اظفر لنفسى بشهر اجازة هذا الصيف

ــ انك تقول ذلك منذ ثلاث سنوات ثم لا تأتى الا لقضاء نهاية الاسبوع فى كل مرة

فهل كان بوب حقا شغوفا به ؟

انه فى بعض الايام كان يبدو واثقا من ذلك ، وفى أيام اخرى كان يبدو عليه عدم الارتياح فى صحبة الغلام

فهل كان زملاء الغلام فى مدرسة استانسلاس يتحدثون اليه عن مجلة الـكرباج وعن والده الذى يصدرها ؟ هل كانوا يضـــايقون

www.ibtesamah.com/vb

الغلام بسبب ذلك ؟

حتى العام الماضى كان بوب مجتهدا جدا ويظفر بدرجات عالية حقا ، ثم فجأة انقلب فى مدى بضعة اشهر الى تلميذ سيء ، كأنه فقد نهائيا كلّ طعم للدراسة ، وكأن حياة المدرسة اصبحت مؤلمة له

ـ سنعود يامدام جوديشون بعد ساعة او ساعتين ، ولا اعتقد انك راغبة فى الخروج معنا ، اليس كذلك ؟

ـ ومن الذى يغسل لى اطباقى ان اتيت معكما ؟ خـــذ سترتك معك يابوب ، فبعد ساعة ستشتد الرطوبة فجأة بمجرد اختفـــاء الشمس

▭

ومرقت السيارة فى الشوارع الخالية تقريبـــا ومرت بالقرب من برج ايفل ، وتكلم فرانسوا فجأة :

ـ اليس لديك ما تريد ان تقوله لى يا بوب ؟

ـ كلا يا ابى ، لماذا ؟

ـ لا ادرى ، انى احب ان نكون وحدنا كما نحن الآن ، فهذا الوقت دائما احسن اوقات اليوم عندى ، الا تعلم هذا يا بوب ؟

ـ بلى اعلمه

ـ اتتذكر يوم ذهبنا الى دوفيل اول مرة كأننا صديقان ؟

ـ نعم

ـ انا دائما صديقك يا بوب

ـ نعم

ـ انى اريدك ان تكون دائما سعيدا ، ولا اريدك ان تكون فقيرا ، اتذكر عندما كنا فقراء يا بوب ؟

ـ لا تتحدث عن هذا من فضلك يا ابى

ـ معكَ حق ، انا شخصيا لا اريد ان افكر فى ذلك مرة ثانية فالفقر قبيح ، بشع ، فظيع ، وقد اقسمت الا نعود اليه

وبدات السيارة تصعد ربوة سان كلو

ـ هل انت راض عن دراجتك الجديدة يا بوب ؟

ـ نعم يا ابى ، انها رائعة

انه كان يشترى لبوب كلّ ما يشتهيه ، ويجتهد ان يعرف رغبته

www.ibtesamah.com/vb

من غير أن يذكرها بلسانه

ـ أشكرك يا أبى ، فأنت تعلم انى مجنون بدراجتى

ولكن كلماته كانت فى الواقع خالية من الحرارة والحماسة

ـ ان الجو جميلٌ حقا هذا المساء يا بوب

ـ نعم

ـ هلّ نذهب ونتناول الجيلاتى فى مكان ما ؟

ـ كما تحب يا أبى

▭

وفى طريق العودة مرت بهم عربات محملة بالازهار قادمة من الريف ، فتذكر الازهار الموضوعة على القبر ذلك الصباح ، فاستولى عليه الوجوم ، وتساءل ماذا يشغلّ ذهن الغلام ، وكأنما فطن بوب الى سؤاله الصامت فقالّ :

ـ ان عمى راؤول لم يحضر لزيارتنا منذ زمن طويل !

www.ibtesamah.com/vb

توجس

وبينما كان يرتب وضعا لسيارته فى ميدان الشانزلزيه ، لمح الآنسة برت خارجة من نفق المترو تحت الارض فوقف ينتظرها ، ولم يكن هناك أثر يدل على وجود مفتش البوليس ، وهذا فى حد ذاته لا يدل على شيء قاطع ، فربما كان هذا الضابط قد استبدل به غيره ، أو أن نوبته فى الرقابة لا تبدأ قبل الساعة التاسعة

وكانت الآنسة برت تتمشى فى اناة ووقار ، وكأنها فى تمايلها المنتظم الرزين دجاجة جيدة العلف ، وتساءل فرانسوا بينه وبين نفسه ما الذى تفكر فيه فى هذه اللحظة ، وذهنها خال تماما من ان أحدا يرقبها ، وماذا عساها ترى فيه أو تظن به

انها شديدة التقوى ، ولديها أفكار مستقرة محددة عن كل شيء فى الحياة ، فكل صباح قبل أن تركب المترو الذى يجرى تحت الارض ، لابد أن تتدبر وقتا تحضر فيه صلاة قداس الصباح الباكر ، وهى تكره شارتييه الذى كان يستغل علمه بتزمتها الشديد ، فيحرص على اغاظتها بسرد أقاصيص بذيئة على مسمع منها ، مستعملا أوقح التعبيرات والالفاظ

ولمدة طويلة نجح فى اثارة غضبها بتربيته على ظهرها ومؤخرتها حينما تكون واقفة ، فان كانت جالسة مد نحوها يده كأنه يهم ان يلمس صدرها ! الى أن حدثت مشاجرة هائلة ذات يوم عندما قدمت انذارها الاخير قائلة :

ـ اما ان يذهب هو أو اذهب انا

ونجح فرانسوا بعد جهد فى الاحتفاظ بهما معا، ووعدها ان يحسن شارتييه السلوك لفظا واشارة ، وبر بوعده الى درجة استبدال الالفاظ البذيئة والاشارات القبيحة بحركات من وجهه ونظرات من عينيه وفى ذلك كان يقول بطريقته المعهودة :

ـ ارجو يا آنسة أن تكونى قد لاحظت ان يدى فى جيوبى ، وانى لم انطق بكلمة واحدة !

www.ibtesamah.com/vb

فى حين ان نظراته كانت موجهة بشكلٍ بارز الى صدرها ، ثم يلعق شفتيه بلسانه ويتلمظ !

▭

وظهرت الدهشة على الآنسة برت عندما رأت فرانسوا واقفا فوق رصيف الشارع وقالت :

ـ هلّ كنت تنتظرنى ؟ هلّ نسيت مفتاحك ؟

ـ كلا ، بلّ رأيتك خارجة من نفق المترو عندما وصلت بسيارتى فوقفت انتظرك كى أصعد معك

ـ ان الجو اليوم سيكون أشد حرارة من أمس

وتسلم بريده فى طريقه الى المصعد الذى أوصلهما الى الطابق الذى فيه المكتب ، وفى هذا الطابق توجد مكاتب على يمين الدهليز وعلى يساره ، فالمكاتب التى على اليسار كانت تنظف دائما فى الصباح الباكر ، وقد تم تنظيفها الآن ، أما المكاتب التى على اليمين ومن بينها مكاتب مجلة الكرباج ، فكانت تنظف ليلا بعد مواعيد اغلاق المكاتب

وشرع فرانسوا مع سكرتيرته فى أعمالهما الصباحية كالمعتاد ، فخلعت الآنسة برت قبعتها أمام المرآة ، وسوت شعرها ، وأعادت تثبيت دبوسين من دبابيس الشعر ، أما فرانسوا فأخذ يقلب بين يديه البريد من غير أن يجلس

وفجأة سمع رنة دهشة فى صوتها وهى تسأله :

ـ ألم تحضر الى هنا هذا الصباح قبل الآن ؟

ـ كلا ، لماذا ؟

ـ اذن ربما كان شارتييه جاء هنا قبلنا

وكانت هناك ثلاثة مفاتيح للمكتب أحدها تحتفظ به الآنسة برت والثانى يحتفظ به فرانسوا ، اما المفتاح الثالث فكان فى عهدة شارتييه وكان عمال التنظيف وعاملاته يستخدمن مفتاحا خاصا ، فقال فرانسوا :

ـ يدهشنى كثيرا أن يكون شارتييه حضر فى مثل هذه الساعة المبكرة

ثم لم يفكر أحدهما فى المسألة كثيرا بعد ذلك ، وتذكر فرانسوا

www.ibtesamah.com/vb

ان هذا اليوم هو يوم انطلاق شارتييه وراء فريسته الاسبوعية ، فهو يجب أن يكون فى ضاحية اوتى فى الساعة التاسعة كى يلحق بأحد متعهدى التوريدات الحكومية فى داره قبل ان يغادرها ، بعد ان عجز عن مقابلته فى مكتبه بباريس ، وكانت معه بروفة غلاف العدد القادم ، وبروفة المقال الذى ربما لن يرى النور فى حالة نجاح الخطة ودفع هذا المقاول لمبلغ الفدية ثمنا للسكوت

ان المبلغ فى هذه المرة ليس كبيرا ، نحو عشرين الف فرنك ، وربما لن يزد على خمسة عشر الفا

وبعد قليل قالت الآنسة برت :

ـ انظر ياسيدى الرئيس ، فها هى بقايا من رماد السجائر فوق آلتى الكاتبة واكاد اقسم ان شخصا ما كان يستخدمها ، فان عمودها الافقى ليس فى الموضع الذى اجعله فيه دائما

واخذت تفتح أدراجها واحدا بعد واحد ، ثم قالت :

ـ لا شك فى ان شخصا ما كان يعبث بأدواتى هنا

ـ هل وجدت شيئا ناقصا ؟

ـ لا أدرى ، ولا استطيع ان اعرف من الوهلة الاولى ، بل ولا يمكننى أن اقول لك ماذا لفت نظرى بالذات من الاختلاف فى وضع الاشياء ولكنى اشعر بذلك شعورا عاما واضحا

وكانت الملفات والوثائق تحفظ فى دولابين من المعدن والمفاتيح توجد فى الغالب مخبأة تحت ناقوس من النحاس الاصفر يستعمل ثقلا للورق ، وكان فرانسوا قد جلب ذلك الناقوس تذكارا من رحلته الى جبال سافوا حديث كان قد أخذ ابنته المريضة الى مصح ميلَ ، حيث فتحوا امامه بارقة أمل فى شفائها

وفعلا ان ابنته اوديل قد بدأت تكتب اليه من هناك خطابات قليلة وبخط ردىء جدا ، وفى كل كلمة أكثر من غلطة واحدة فى الاملاء ، لان مرضها الطويل منعها من الذهاب الى المدرسة وظلت سنتين لا تغادر الفراش

وعادت الآنسة بر تتقول :

ـ انى واثقة ياسيد فرانسوا ان شخصا ما فتح دواليب الملفات، وامامى الآن الدليلُ واضح بالنسبة للدولاب الايسر ، فأنت تعلم

www.ibtesamah.com/vb

انى لا اغلقه بالمفتاح مرتين ، لانه فى هذه الحالة يستعصى فتحه بسهولة وقد وجدته اليوم مغلقا بالمفتاح مرتين

وكان راؤول قد دخلَ فى تلك اللحظة من غير ان يفطن لدخوله احدهما ، ووقف يرقب فرانسوا باستطلاع ، وفجأة وقع عليه نظر اخيه فسأله فرانسوا :

ـ اسمعت ما تقوله الآنسة برت ؟

ـ اجل سمعت

وابتسم ابتسامة باهتة واستطرد :

ـ اليس هذا ما قلته لى بالامس ؟ لقد بدءوا الهجوم

ولما سمعت الآنسة برت هذه العبارة التفتت بسرعة نحو فرانسوا وقالت فى استغراب :

ـ انت تعرف اذن شيئا عن الموضوع ؟ أهو البوليس ؟

ـ سأجتهد أن أعرف الحقيقة بالضبط

ثم غادر المكتب وعاد بعد ربع ساعة وقد ظهر عليه القلق ، ولم يكن فى الحقيقة قد غادر المبنى ، وقال عند عودته :

ـ لم أستطع أن أعرف شيئا من حراس الليل ، وقد اتصلت تليفونيا بالبواب الليلى ولم يكن قد نام بعد ، وقال انه لم يسمع شيئا ولم ير شيئا ، وامّا مدير العمارة فكان باردا أكثر مما يجب وقابلَ المرأتين اللتين قامتا بالتنظيف فى المكاتب الليلة الماضية فيما بين الساعة السادسة والسابعة فقالتا انهما استعملتا المكنسة الكهربائية فى تنظيف المكتب ، ولا يمكن أن يكون قد تبقى من نفايات أمس رماد سجائر أو غير ذلك

فزمجر راؤول قائلا :

ـ انهما على كلّ حالٍ لم تحسبا حساب عقب السيجارة الموجود على منفضة مكتبك ، ولا علبة الكبريت الفارغة الملقاة فى سلة مهملاتك ، كما ان شخصا كان جالسا الى مكتبك يرى هنا قلمه الرصاص

فحملق فرانسوا أمامه برهة ثم قالَ :

ـ أرجو يا آنسة برت أن تطلبى لى شركة التوزيع التى توزع لنا المجلة على التليفون

www.ibtesamah.com/vb

ـ آلو ! أنا فرانسوا لكوان ، أريد أن أعرف هل ستقومون بتوزيع الكرباج اليوم كالمعتاد ، ماذا تقول ؟ ستكون فى ايدى الباعة عند الظهر ؟ كلا ، ليس هناك شيء شاذ هذه المرة ، ولكنهم فقط قالوا لى أمس فى المطبعة انهم ربما تأخروا قليلا فى التسليم ، فخشيت أن يترتب على ذلك تأخير التوزيع

اذن العدد لن يصادر ، أو لم يصادر بعد على الاقل ، فان اعداد الاقاليم تم تصديرها فعلا وهى الآن فى الطريق

ـ هل يمكن يا آنسة برت ان تتأكدى من ضياع شيء مما فى الملفات ؟ ارجو أن تراجعى الملفات ان أمكن

ـ ان المراجعة ممكنة ، ولكنها ستستغرق وقتا طويلا ولا بد لى من اتمام حسابات المساهمين فى التحرير مع السيد راؤول اليوم

ـ ان الحسابات يمكن أن تؤجل قليلا

ـ ألا تظن ياسيدى انه من الارجح ان يكون البوليس ، قد أتى فى وضح النهار ومعه اذن قانونى بالتفتيش ؟

وظل فرانسوا محتفظا بهدوئه ظاهريا ، بيد ان اللطمة كانت قد أصابته فى الصميم ، فهو منذ الليلة الماضية يشعر بثقل شديد على كاهله ، وكان مهموما جدا مشغول البال هذا الصباح حتى انه لم يكد يتبادل مع ابنه كلمة واحدة على مائدة الافطار ، وشعر بتأنيب ضميره ، وكذلك مدام جوديشون كانت غير معتدلة المزاج ، فغادر فرانسوا شارع دى لامير وهو فى أشد حالات الضيق ، وظل يقود سيارته طوال الطريق من غير أن يلقى نظرة واحدة واعية على الجو

وفجأة سأل راؤول فى صبر نافد :

ـ وماذا عن هذا الخبر ؟ هل عرفت على الاقل من الذى أحضره ؟

ولم يكن من عادته أن يستخدم هذه اللهجة كثيرا ، وتصنع أخوه انه لم يفطن لما فى لهجته من ضيق ، وكان راؤول قد استخرج زجاجة الكونياك من أحد الادراج ورفعها الى فمه ، وبعد أن تجرع منها شيئا كثيرا بصوت مرتفع أثار اشمئزاز الآنسة برت ، قال :

ـ آسف يا فرانسوا ، لم أكن مصغيا ، كنت أفكر فى شيء آخر ، فأنا واثق ان هؤلاء الخنازير اعتدوا على زجاجتى وشربوا منها ، ماذا كنت تقول ؟ كلا ياصغيرى ، لا أستطيع أن أتذكر فالذين يأتوننا بهذه

www.ibtesamah.com/vb

الاخبار عدد ضخم كما تعلم

ـ وهل لم تعرف الخط ، ولا الورق ؟

ـ اكاد أجزم ان الخبر وصل بالبريد ، فانى احتم على عملائنا المنتظمين ان يكون الخبر مكتوبا على الآلة الكاتبة ، وعلى فكرة !

ـ ماذا ؟

ـ ألا تظن انه ان صح راى فردينان بوسو ، وكان المكتب قد تم تفتيشه بواسطة البوليس فى الليلة الماضية ، فان قيام صديقنا شارتييه بزيارته اياها لذلك المتعهد فى اوتى ستكون ذات نتائج وبيلة

ـ لقد فات الوقت المناسب لابقائه ، فهو هناك الآن فعلا

ـ اذن هيا بنا نصلى جماعة أن تتدخل السماء وتجعل هذا المقاول يصر على رفض مقابلته !

ـ ولكن ما الذى يخيفك من هذه الزيارة على وجه التحديد ؟

ـ لست ادرى ، ولكنى لا اشعر بالارتياح على كل حال

حقا ان هذا الصباح محطم للأعصاب ، وكأن فى الجو عاصفة توشك ان تنفجر ، ومن علامات اقتراب العواصف ان تلتصق الهوام والذباب بالجلد ويعجز انسان عن طردها ، والذبابة فى هذا الموقف هو راؤول ، الذى شعر بالفراغ لانشغال الآنسة برت عن مراجعة الحسابات معه ، كى تراجع الملفات الموجودة فى الدولابين ، فأخذ يتمشى فى حجرات المكتب وهو يصفر بفمه ويدس انفه فى كل شىء يقع عليه نظره ، وكان أحيانا يتسمر كالديدبان أمام وجه أخيه ويمضى يمعن النظر فيه وهو يهرش راسه مفكرا !

وكى يفرج فرانسوا عن اضطرابه اخذ يفض الخطابات بعناية زائدة ويؤشر بالقلم الرصاص تأشيرات لا لزوم لها على هوامش الخطابات

وكان بوسو لا يحضر الى المكتب فى هذه الساعة المكبرة وخصوصا فى اليوم التالى لخروج العدد من المطبعة فكان هذا هو يوم راحته الاسبوعية وفجأة رن التليفون ، فردت عليه الآنسة برت :

ـ شارع برسبورج ياسيد فرانسوا

وربما كانت فيفيان الآن تتم تناول افطارها الفخم على صينية من

www.ibtesamah.com/vb

الفضة فى فراشها الوثير ، وكان هـــذا هو الوقت الذى تختاره كى تثرثر بالتليفون فى أحاديث لا نهاية لها

ـ كيف حالك يا فرانسوا ؟

ـ على ما يرام ، شكرا

ـ وبوب ؟

ـ على ما يرام ايضا ، شكرا

ـ حقا يجب أن تذهب هذا الاسبوع الى سينما روكسى ، فانهم هناك يعرضون فيلما رائعا ، واظن انه لا مانع عندى أن اذهب معك كى أشاهده مرة ثانية

ـ حقا ؟

ـ ماذا بك ؟

ـ لا شىء ، لا شىء ذا بال

ـ ان كان عندك ياعزيزى زوار فى مكتبك ، فلا مانع عندى ان أطلبك بعد قليل

ـ ليس عندى أحد !

ـ هل سنتناول الغداء معا اليوم ؟

ـ لست واثقا من ذلك ، فعندى كمية هائلة من الاعمال هـــذا الصباح ، يجب أن أنجزها أولا

ـ آه ، اذن هل ستطلبنى فيما بعد ؟

ـ طبعا

والحقيقة انه لم يكن لديه ما يأخذه على فيفيان ، بل ان الامر كان بالعكس فهى لطيفة جدا ، ولا تحمله فوق طاقته ، بل انها تحاول دائما أن تمنعه من تبذير نقوده ، وطبعها جميل ، فلا تتضجر من انتظاره طول النهار ، وعندما يلغى موعده معها فى آخر لحظة لا تبدى اى استياء

وكان من شروط بيبيف التى اشترطها للتعاون مع فرانســـوا ومجلة الـكرباج ان يجدد هو اماكن اللقاء ومواعيده بطريقته الخاصة والا يحاول أحد من طرف المجـــلة أن يتصل به ما لم يبـــدأ هو الاتصال ، فلم تكن هناك اذن وسيلة لمعرفة مكانه والاتصـــال به فى هذه المحنة

www.ibtesamah.com/vb

اما عن بوسو الذى لم يحضر بعد فلم تكن هناك وسيلة للاتصال به ايضا بواسطة التليفون او اى وسيلة اخرى ، فهذا الرجل الذى كان مستعدا ان يروى ادق دقائق اسراره الخاصة لاى شخص حتى ولو كان لا يعرفه من قبل ، كان كتوما جدا ، والى درجة الجنون بصدد شيء واحد هو محل اقامته ، فبعد مضى ثلاث سنوات لم يكن فرانسوا يعرف حتى فى اى حى من احياء باريس يسكن رئيس تحرير مجلته !

ولكن لماذا خطرت رينيه على باله فى هذه اللحظة ؟

لقد حاول ان يراجع سلسلة افكاره ليعرف لماذا خطرت زوجة اخيه على باله عندما طلبته فيفيان فى التليفون ؟ لا بد ان هذا بسبب تفكيره فى المحامى ، فقد قال لنفسه انه من المستحسن ان يستشير محاميه فى هذا الظرف

وكان هذا المحامى رجلا فاشلا مثل بوسو ، ومثل راؤول ، ومثل شارتييه ، ومثل بييبيف مفتش البوليس السابق ، فهو لم يزل فى الخمسين من عمره يجوب دهاليز دار القضاء يطوح اكمام ردائه الاسود المرصع بالبقع الدهنية ، وقد حال لونه الى نوع من الخضرة الكالحة ، باحثا عن اية فرصة للمرافعة فى احدى القضايا ولو فى مقابل عشرين فرنكا

ولا بد انه كالآخرين كان مصابا بنوع من الشذوذ الاخلاقى او النقص ، لم يكن سكيرا ، ولا يعتقد فرانسوا انه كان زير نساء

لابد له ان يراجع سلسلة افكاره ولكن راؤول لا يكف عن الصفير بفمه وهو لا يجسر هذا الصباح ان يطلب منه الكف عن ذلك حتى لا يفلت منه زمام اعصابه

ان رجلا مثل مارسيل هو الذى كان قديرا على علاج مثل هذه الامور الشائكة ، فهو محام مثالى من حيث فن الاحتيال على القانون ، وقد ادرك المرابى العجوز هذه الحقيقة فاقتنصه منذ البداية ، اجل ان مارسيل لم يكن قادرا على المرافعة الساحرة ببلاغتها فى قاعة المحكمة ولكنه كان يعرف دخائل القانون والاعيبه معرفة كاملة ، ولا سيما الاساليب الملتوية فيه ، فما ان تثار اى مسألة قانونية حتى يجمد فى مكانه وكأنه طير من طيور الصيد تترقب الفريسة وهى فى

www.ibtesamah.com/vb

السماء ، ويظل ساكنا هكذا لحظة واحدة ، ثم على الفور يكتشف الحل الذى لم يكن يستطيع الوصول اليه سوى قلة من زملائه ، لقد بدأ الآن فرانسوا يندم على انه قاطع اخاه مارسيل وخسر مودته ، ولما كانت هذه الخصومة او القطيعة قد نتجت بسبب رينيه ، فهذا هو السبب فى ان رينيه خطرت على باله فى هذه اللحظة العصيبة

أجل ان رينيه هى التى أشعرت زوجها مارسيل بما كان بينها وبين فرانسوا من علاقة أثيمة تمخضت عنها الاسابيع الاولى من المعركة الانتخابية منذ ثلاث سنوات • وبمجرد انتهاء هذه المعركة أخبره أخوه بصورة حاسمة ان كل ما بينهما انتهى وان لدى موظفيه وخدمه أوامر مشددة بعدم دخوله البيت أو المكتب !

والغريب ان رينيه ، تلك المرأة الفاجرة الهلوك كانت تتردد عليه بعد ذلك فى أوقات مفاجئة ، وهى التى أمدته بجزء كبير من رأس مال مجلة الكرباج • وكانت تسأله بعد كل زيارة :

ـ ألا تجد فرقا بينى وبين صديقتك فتاة الشارع ؟

فرينيه هى المسئولة عن تلك القطيعة بينه وبين أخيه • وكان يستهين بأخيه ويحتقره وهو يخونه مع تلك المرأة التى تجاهر بأنها لم تترك صنفا من الرجال من غير أن تكون لها به صلة فاجرة !

انه يلوم نفسه الآن ولكن أهو مختلف عن الآخرين ؟ هل هناك رجل واحد لا يعانى من الصراع مع أفكاره ومع شهواته ، ومع القوانين والاخلاق والعرف ؟ لقد كان نهبا لهذا الصراع منذ طفولته وها هو منذ ثلاث سنوات تقريبا يحترف فى مجلته الكرباج التنديد بشهوات الناس والاتجار بفضائحهم • فكل عدد من أعداد الكرباج يتضمن الاشارة الى آثام وشذوذ أخلاق عدد معين من المشاهير والاعيان وهذه المعلومات تصل بالمئات الى المجلة أسبوعيا عن طريق البريد أو عن طريق المندوبين من صعاليك الصحافة • أليس معنى هذا انه لا يوجد رجل سوى على حد تعبير أمه ؟

وحتى هذه الأم نفسها بغرورها الكاذب ومخاوفها التى غرستها فى أولادها ، وتركيزها للدنيا كلها حول محور المال • هل يمكن أن نعتبرها امرأة سوية ؟

وأخواه مارسيل وراؤول، هل هما سويان ؟ هل بالوسائل السوية

www.ibtesamah.com/vb

نجح مارسيل فى الاستيلاء على ثروة المرابى المليونير عن طريق الزواج بابنته الهلوك الفاجرة رينيه ؟ هل كان لمارسيل عميل آخر غير استغلال ظروف الناس السيئة أو مساعدة غيره من الناس على استغلالها ؟

وراؤول ؟ لقد تزوج مرتين • وليست لديه أى فكرة عن مكان وجود زوجتيه فى الوقت الحاضر أو عن طريقة حياتهما • وحتى ابنته الوحيدة لا يعرف عنها شيئا ويبدو انه لا يكترث أن يعرف !

والاجداد أو السكيرون سواء من جهة الأب أو من جهة الأم ؟ هل يمكن اعتبارهم قدوة ؟

ان شخصا واحدا فقط من بين أفراد العائلة كان شخصا سويا • بالمعنى الذى تقصده أمه • وهذا الشخص هو والده • لانه كان رجلا مستسلما • لم يحاول أن يكافح أو يقاوم • ولم يشأ أن يؤذى أحدا • ولكى يصون المظاهر أمام أولاده ترك كل شىء لزوجته وانطوى على نفسه

وحتى هذا الأب ، ان كان لنا أن نصدق راؤول ، كان ينفس عن نفسه خلسة فى بيت من بيوت الهوى الرخيص ، مرة فى الاسبوع وكان يصادفه هناك راؤول أحيانا !

ولم يعد فرانسوا يطيق أكثر من ذلك فصاح :

ـ كف عن هذا الصفير بحق السماء يا راؤول !

ـ لماذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟

ولعل سؤال راؤول كان يعتبر الحل لمشكلته • لماذا حقا لم يتكلم؟ ألانه لم يرد أن يخجل أخاه ؟ ألانه لم يرد أن يظهر بمظهر الرئيس أو صاحب العمل ؟ أحيانا ؟

وحاول أن يغير مجرى الحديث فسأل :

ـ ألم يظهر أثر لبوسو بعد ؟

ـ لابد أنه سيأتى بعد قليل • ولا شك انه يشرب الآن أول كوب من البيرة فى بار سلكت

ـ ألم تجدى شيئا ناقصا يا آنسة برت ؟

ـ لقد لاحظت فقط شيئا واحدا مضحكا جدا • انظر الى هذا الحطاب مثلا • فستجد فيه ثقوبا صغيرة كأنها آثار دبابيس فى الاركان

www.ibtesamah.com/vb

الاربعة من الورقة . وأنا واثقة انى لم أضع هذه الثقوب . وليس هذا الخطاب هو الخطاب الوحيد . فهناك عشر خطابات أخرى عثرت عليها حتى الآن وبها ثقوب مماثلة

ـ ضعيها على حدة من فضلك

ـ هذا ما أفعله . ولكنى لم أفرغ بعد من الفرز . ولا شك ان هناك خطابات كثيرة مماثلة

وأخيرا ! ها هو بوسو الضخم الجثة يظهر على عتبة الباب فشعر الثلاثة بالارتياح . كأنه جلب اليهم معه بالحل الناجع لجميع مشاكلهم وبادره فرانسوا قائلا :

ـ تعال معى الى مكتبى الخاص يا فرديناند

ـ هل هناك جديد يا زعيمى ؟

وكان لا يزال فى غير حالته الطبيعية . فانه لا يصحو عقله تماما الا بعد الكوب الخامس أو السادس من البيرة

ـ ان المكتب قد تم تفتيشه خلسة فى الليلة الماضية

ـ لا بد انه البوليس

ـ ان الآنسة برت تبحث الآن فى الملفات لتعرف هل أخذوا منها شيئا . وهذا ليس كل شىء . فان بعض الخطابات والوثائق وجدت بها ثقوب من أثر دبابيس فى أركانها الاربعة

ـ مفهوم ، هذا معناه انها ثبتت فوق لوحة وأخذت لها صور فوتوغرافية

ـ وهذا أيضا ما خطر ببالى

ـ ولا بد يا زعيمى ان الوقت لم يتسع لهم فى مرة واحدة لعدم توفر أدوات التصوير . فمما لا شك فيه انهم زارونا هنا مرتين . فماذا قال بواب الليل ؟

ـ اتصلت به تليفونيا وهو يؤكد ويصر على أنه لم يسمع ولم ينظر شيئا مخالفا للمألوف كل ليلة

ـ هذا يؤكد ان البوليس هو الذى قام بالزيارة ، وانهم أنذروا هذا البواب حتى لا يتكلم

ـ ومدير العمارة أظهر لى برودا شديدا هذا الصباح ، وأحسست أنه كان يتوقع زيارتى ، وانه كان على حذر

www.ibtesamah.com/vb

ـ وهذا أيضا يثبت ان البوليس هو الذى فعل ذلك
ـ والمصيبة ان شارتييه لم يعد
ـ وأين ذهب يا زعيمى ؟
ـ الى أوتى
ـ فريسة ؟
ـ كان المفروض أن يقابل فى الساعة التاسعة أحد متعهدى التوريدات للحكومة والجيش فى بيته
ـ عرفت الموضوع ، فأنا الذى كتبت المقال
ـ والساعة الآن الحادية عشرة والنصف

وأفرغ بوسو رماد غليونه على الارض وهو يضرب به كعب حذائه ثم وقف ووضع قبعته على رأسه ، فسأله فرانسوا :

ـ هل أنت منصرف يا فردينان ؟
ـ سأذهب الى بار سلكت لاحتسى قدحا من البيرة • فان كنت بحاجة الى اتصل بى هناك
ـ انهم على كل حال لم يصادروا العدد هذا الصباح
ـ انهم ليسوا بهذا الغباء !

وشعر فرانسوا بشعور غريب وهو يرقب ظهر رئيس تحريره يبتعد عنه رويدا رويدا الى أن اختفى • وتساءل لحظة ان كان هذا الشخص هو الخائن الذى وشى به للبوليس • ثم جاء الآن لينظر متجسسا • أم تراه مجرد فأر جبان كبقية الفيران التى تسرع بمغادرة السفينة بمجرد شعورها انها مشرفة على الغرق ؟

وعاد راؤول من غير أن يدرى الى الصفير بفمه • وهو يمعن النظر فى أخيه بدهشة ، وتجاهل فرانسوا نظراته وقال :

ـ اعطنى شارع برسبورج يا آنسة برت

وكانت الخادمة هى التى ردت عليه فأخبرته ان السيدة فى الحمام منذ نصف ساعة وأنها ستأخذ اليها التليفون هناك

ـ أهذا أنت يا فرانسوا ؟
ـ نعم أنا
ـ ماذا هناك ؟
ـ سنتغدى معا • هل تحبين أن آتى لآخذك بالسيارة أم تفضلين

www.ibtesamah.com/vb

المشى على قدميك قليلا الى مطعم فوكيه ؟

ـ بل أفضل أن تأتى وتأخذنى فى السيارة

ولعل مهنتها السابقة كانت تحتم عليها السير على قدميها رغم أنفها حتى أصبحت الآن تكره المشى كرها تاما

ـ وأى ثوب تريد منى أن أرتديه ؟ كيف حال الطقس اليوم ؟

ولم تكن لديه أدنى فكرة عن الجو . فنظر متطلعا من النـــافذة الى السماء ثم قال :

ـ هناك بعض سحب . ولكن لا أظن ان المطر سيسقط

ـ اذن أرتدى ثوبى المنقوش ، ولا بد أن أخرج من حمامى الآن . لان الماء أصبح باردا تقريبا . الى اللقاء

وكان راؤول ممسكا بزجاجة الكونيـاك فى يده ومســـتمرا فى التفرس فيه . ولاول مرة شعر فرانسوا بالاشـمئزاز من زجاجات خمر أخيه ، مثلما كانت تشعر بذلك الآنسة برت تماما

ووقف فرانسوا على قدميه واتجه الى النـــافذة وفتحها . فرأى عصفورا يطير منزعجا وكان واقفا على حافة النافذة

www.ibtesamah.com/vb

المسالك المسدودة

كانا يتناولان الغـداء فى مطعم فوكيه الراقى ، هو وفيفيان ، فى الشرفة المكشوفة التى تطل على شـــارع جورج الخامس • وكانت الشمس حامية • والهواء ثقيلا راقدا • وفى كل مرة تدوى صـفارة عسكرى المرور فى ميدان الشانزلزيه لتنظيم سيل الرائحين والغادين، كان فرانسوا ينظر الى الشرفة المقابلة وهى شرفة بارسلكت •••

وعلى الرغم من بعد المسافة كان فرانسوا يستطيع أن يرى الناس هناك فى صفوف مزدحمة • فسألته فيفيان

ـ هل تنتظر أحدا ؟

ـ ليس بالضبط

وكان قدمر ببار سلكت وهو فى طريقه الى مطعم فوكيه • فقال له عامل البار عند ما سأله عن بوسو :

ـ ان السيد بوسو حضر وشرب كوبا من البـيرة وهو واقف • ولكن هذا كان منذ برهة كبيرة • قبـل الساعة الحادية عشرة • هل هناك أى رسالة أبلغها له عندما يعود ؟

وما الفائدة ؟ ان الساعة الحادية عشرة معناها أنه لم يعد الى البار بعد خروجه من مكتب المجلة قبيل الثانية عشرة • ومن المحتمل جدا فى هذه الحالة ألا يعود اطلاقا الى البار !

ـ شكرا لك يا جان • قل له فقط أننى أتناول الغداء عبر الشارع فى مطعم فوكيه

ـ وهو كذلك يا سيد فرانسوا

وربما كان بوسو يتوقع أن يأتى البوليس للقبض على فرانســوا فورا ، ولهذا فضل ألا يكون موجودا عندئذ • وفرانسوا يذكر جيدا انهما فى يوم من الايام كانا يتحدثان عن الجنازات ، فقال بوسو :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ليس هناك شيء أحجم عن فعله من أجل صديق ، اللهم الا شيئان، أن أزوره في المستشفى • وأن أسير في جنازته !

▭

ودهش فرانسوا وهو يراقب فيفيان تتناول طعامها • لأنه وجدها قد اندمجت وتأقلمت في حياتها الجديدة تماما • فهي مثلا في هذا المطعم محاطة بطائفة من أجمل نساء باريس • ومن بينهم عدد كبير من ممثلات المسرح ونجوم السينما • ولكن فيفيان كانت تبدو من بينهن جميعا أشدهن اتزانا ، وأقربهن الى السلوك المهذب الرفيع

ولاحظ أيضا أنها غيرت قص شعرها ، وكشفت عن رقبتها من الخلف ، وهذا الموضع لم يكن لفت نظره فيها من قبل

وأحضر الخدم المشهيات • وفيما هو يحملق متفرسا في جلدها الابيض الذي كانت من قبل تغطيه خصلات شعرها ، وجد نفسه يقول لها في جد :

ـ انك كنت فقيرة جدا • أليس كذلك ؟

ودهشت فيفيان دهشة كبيرة حتى انها وجمت ولم تجب برهة • ثم حملقت فيه بدورها وقالت :

ـ وهل تظن انك كنت عثرت بي حيث وجدتني لولم أكن فقيرة للغاية ؟

ـ كان في وسعك أن تجربي مهنة أخرى ؟

ـ لماذا ؟

ـ عاملة عند صانع أزياء • أو بائعة في متجر !

ولن ينس ماعاش الطريقة الفذة التي أجابت بها على كلامه من غير أدنى تردد ، وفي نظرة عينيها حزم قاطع :

ـ كلا !

ولم يفهم لأول وهلة شعورها • ولم يجد جرأة على الالحاح عليها في الاستفسار • ولكنه سألها سؤالا آخر :

ـ هل في استطاعتك الآن أن تروضي نفسك على الفقر مرة أخرى؟

ـ كلا طبعا !

قالتها بنفس الاصرار • وهي تلوى شفتيها في ازدراء • ثم فجأة

www.ibtesamah.com/vb

انقلبت ضاحكة · ولكن ضحكتها كانت خالية من المرح ومن الحياء ، وقالت

ـ يا له من سؤال تلقيه فى مكان فاخر كهذا · انك لست فى أحسن حالاتك اليوم يا فرانسوا · هل حدث شىء ضايقك فى المكتب اليوم؟

ولم يكن فى نيته أن يخوض فى هذا الموضوع · وأدركت هى أن الظرف غير مناسب فسكتت · ولكنه قال بمرارة :

ـ ان المصائب لا تأتى فرادى !

وما أن قال هذه الكلمة عفوا حتى لمح رجلا من مندوبى شركات الاعلانات الكبيرة كان من عادته أن يقابل فرانسوا دائما بترحاب شديد واحتفاء عظيم · رأى هذا الرجل يدخل مع امرأة جميلة ويجلس فى مائدة قريبة ·· فنهض فرانسوا من مقعده وحياه بهزة واضحة من رأسه · ولكن الرجل تجاهل تحيته وظل يحملق فيه كأنه لا يعرفه

ولم يفت ادراك ذلك على فطنة فيفيان · بيد انها تجاهلت الموضوع محافظة على شعور فرانسوا

ترى ما الذى جد اليوم على الموقف حتى تبدلت نظرة الناس اليه؟ ان الكرباج تنشر فى كل أسبوع صفحات وصفحات من هذا النوع المشين · ولكن كل حرف مما تنشره صحيح · فلم يجسر أحد طوال هذه السنوات أن يقيم ضد المجلة قضية قذف

وشرد فرانسوا مفكرا فى ذلك · الى أن قالت له فيفيان

ـ أما زلت تفكر فى الفقر يا فرنسوا ؟

ـ نعم ··· كلا المسألة معقدة !

وأدهشه أن يسمعها تجيبه بطريقة هادئة تدل على انها كثيرا مافكرت فى هذا الموضوع بينها وبين نفسها :

ـ هل لا حظت أن الناس الذين عرفوا الفقر ، لا معرفة عارضة بل عانوه مدة طويلة من الزمن وعاشوا فقراء من غير أمل كبير فى التخلص منه ، هؤلاء الناس لا يتحدثون أبدا عن الفقر ؟ ان هراء كثيرا كتب على لسان الفقراء الاصلاء · مع ان الذين يتكلمون دائما عن الفقر هم الآخرون أولئك الذين لا يعرفون ما هو الفقر حقا ···

وكانت تأكل بأناة وهى تستطرد :

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقدقرأت ذات مرة فى احدى المجلات السينمائية حديثا أدلى به كوكب سينمائى مشهور ولد ونشأ فى ايست أند ، حى الفقراء فى لندن • وكان الجميع يتهمونه بالبخل • فهل تدرى ماذا كان جوابه ؟

ـ ماذا ؟

قال « من كان منكم فقيرا الى الدرجة التى عانيتها من الفقر ، سيكون مستعدا لتقبل أى تهمة والاقدام على أى عمل كى يتأكد من انه لن يرتد الى حياة الفقر • ولن يخجله شىء فى هذا السبيل »

وكانت غالبية النساء من حولهما مرتديات ثيابا صنعها ملوك الازياء • ومتحليات بالجواهر التى يبيعها أعظم تجار الحلى فى شارع السلام • وكل ما يخرجنه من حقائبهن ، من علب السجائر الى الولاعات، الى علب الزرور والصباغ الاحمر لشفاههن ، كلها مصنوعة من الذهب ومحلاة بالجواهر الكريمة • وبعضهن صغيرات السن جدا • ومنهن من ولدت فى حجرة البواب أو فى كوخ مما يسكنه المتسولون وجامعو القمامة • وربما كان منهن من لم تغادر تلك الحالة الوخيمة الا منذ سنتين ، لتجد العشيق الثرى ، أو منتج الافلام الذى يسلط عليها الاضواء والكثيرون من الرجال الذين معهن كانوا يجوبون الشوارع حفاة الاقدام فى وارسو أو بودابست ، ثم رفعتهم المغامرات وأغدقت السوق السوداء عليهم الملايين • ولعل هذا هو السبب فى أنهم يضحكون تلك الضحكات العالية ليقنعوا أنفسهم بأن حياتهم غدت جميلة

ولكن ••• هل منهم جميعا أحد يتصف بالامانة والشرف، بالمعنى الذى كانت تعنيه أم فرانسوا من هذه الكلمة ؟

وتنهد فرانسوا وقال بصوت مرتفع :

انى لأعجب ماذا كنت عسانى مجيبا • عندما كنت فى الثالثة عشرة ؟

ـ مجيبا عن ماذا ؟

ـ عن السؤال الذى أسأله لنفسى

ـ أنى أستطيع أن أجيب على هذا السؤال يا فرانسوا • ففى سن الثالثة عشرة كنت قد قررت مصيرى

www.ibtesamah.com/vb

ـ أواثقة أنت من ذلك ؟

ـ بل وقلت لأمي ما عزمت عليه

ـ وماذا قالت لك ؟

ـ اننى ربما كنت على صواب ...؟

ـ وهل كانت أمك ..؟

ـ لم تكن محترمة . ان كان هذا ما تقصده بسؤالك

ومرة أخرى انطلقت تضحك . وظهـــر أحد غلمـــان المنادين على السيارات عند باب المطعم،وراحت عيناه تجوبان الشرفة وهو يصيح:

ـ السيد لكوان ... السيد فرانسوا لكوان

وخاف فرانسوا أن يرفع يده لأول وهلة . ولما استمر الغلام فى النداء أشار اليه بسرعة . واخترق الغـــلام صفوف الموائد وفى يده رسالة ، وقال فرانسوا وهو يمزق غلافها :

ـ عن اذنك ...

وعرف على الفور خط بيبيبيف ، أو بعبارة أصح خطه المصطنع .. لأن مفتش البوليس السابق كان لا يفوته سبب من أسباب الحذر . حتى ان فرانســوا كان يشك فى أنه يرتدى قفـــازا من المطاط وهو يكتب حتى لا يجازف بترك أصابعه على الورق !

ـ تحذير ... تطورات جديدة . المستحسن أن تذهب الى حديقة الحيوانات فى ضاحية فنسين بعد الظهر فىالساعة الرابعة وأنصحك ألا تأخذ سيارتك . فالمترو تحت الارض يوصل الى هناك مباشرة . وان لم تجد أحدا هناك قبل الخامسة اذهب الى التافرنا حيث ستجد مع أخيك رسالة

ـ أخبار سيئة ؟

ـ لا سيئة ولا طيبة

فهل كانت تدرى أن النهاية يمكن أن تحل الآن فجاة فى أى لحظة؟ ربما . فقد كانت دائما صادقة الحس . وكانجميع منحوله يعلمون. ولهذا كانوا جميعا ينظرون اليـــه اليوم بنفس النظرة . نظرة من يتوهمون أن فرانسوا لكوان لا يدرى حقيقة موقفه

ومن سخريات المفارقات أن ذكرى من ذكريات أيام تلمـــذته فى

www.ibtesamah.com/vb

مدرسة الفرير فى استانسلاس قفزت الى ذهنه بهذه المناسبة . وتمثل أمامه الاب هوبو أستاذ الديانة عندما كان فرانسوا فى الفرقة السادسة وكان هذا الرجل يشبه صور السيد المسيح . وكان يبسط ذراعيه دائما وهو يتكلم كأنه يستعد للصلب !

وفى نهاية كل درس كان يسمح للتلاميذ أن يتقدموا اليه باعتراضاتهم التى تفند حججه وأقواله . وتقدم أحد زملاء فرانسوا وألقى على الاب ذلك السؤال الذى لا محيص عنه لكل من يناقش مسألة حرية الارادة:

ـ اذا كان الله عالما بكل شىء منذ البداية . وكان يعلم ما سيقترفه الشخص قبل ولادته ، فكيف نقول بعد ذلك أن أفعالنا صادرة عن اختيارنا الشخصى ؟ ألا يترتب على ذلك أن الله مسئول عن آثامنا ولسنا نحن المسئولين عنها ؟

ولم يزل يتصور أمام عينيه كيف نهض ذلك القسيس الطويل النحيل فى مسوحه السوداء ، وظل صامتا لحظة ينظر الى تلاميذه واحدا واحدا كأنما ليتملك انتباههم أولا ، ثم قال

ـ انى كالعادة أيها السادة سوف أستعين بمثال خيالى لتوضيح الموقف . ان رجلا كان سائرا على طول الشارع وهو يقرأ جريدة فى يده . وأنت تتبعه بعينيك . وفى المسلك الذى كان يبدو أنه يريد اختراقه لاحظت أن عمال المجارى تركوا بالوعة فى وسط الشارع مفتوحة . وهكذا أصبحت فى عرض الطريق هوة .

وجعلت كلمة بالوعة المجارى الابتسام يقفز الى الشفاه . وابتسم الاب هوبو لأنه كان يحب دائما أن يرصع دروسه ومواعظه بصور وتشبيهات سوقية . ثم استطرد :

ـ وأصبحت تفصل الرجل عن هذه الهوة عشرون خطوة ، ثم عشر خطوات . وها أنت تراه يقف فى الطريق لحظة . وتتساءل هل سيطوى جريدته ويضعها فى جيبه ؟ وها هو يحيد عن طريقه قليلا حتى لا يصطدم بأحد المارة ، فهل ستكون فى ذلك نجاته ؟

كلا ! لأنه استمر يقرأ الجريدة وعاد بصورة آلية الى اتجاه سيره السابق ... لم تعد بينه وبين الهوة الا خمس خطوات . بل ثلاث . وفم البالوعة أمامه مباشرة ، والجريدة ما زالت تخفيها عنه . وأنت

www.ibtesamah.com/vb

ترى هذا كله وتعلمه. فهل معنى ذلك أنه ليس حراً تماما فى الوقوف مرة أخرى ، ليقطع القراءة ، أو ليدور على عقبيه ويعود من حيث أتى؟ ان هذا الرجل الذى يوشك أن يسقط فى البالوعة أيها السادة انما يرمز فى الحقيقة الى ...

ونبهه صوت فيفيان تسأله :

ـ لماذا تبتسم ؟

ـ لا شىء !

انه الآن يشبه هذا الرجل ، أما الآخرون سواء منهم مارسيل أو رينيه أو راؤول أو فيفيان أو بوسو أو الآنسة برت، فهم المتفرجون الذين يرقبون الرجل الذى يقرأ الجريدة وهو يوشك أن يتردى فى فوهة بالوعة المجارى المفتوحة !

ولعل هذا هو السبب الذى من أجله ينظرون اليه جميعا فى شىء من الذعر ولكنهم جميعا فشلوا فى أن يدركوا شيئا أخر ، انه أيضا كان يعلم طول الوقت ان بالوعة المجارى مفتوحة فى وسط طريقه !

ـ الحساب أيها الساقى !

ـ هل أنت عائد الى المكتب ؟

ـ للحظة واحدة ، ثم بعد ذلك عندى موعد

ومن المكتب عرف أن شارتييه لم يعد . وكانت الآنسة برت قد اعتادت أن تتناول الغذاء فى المكتب وهى تحضره معها فى الصباح فى لفافة أنيقة . وكانت قد وعدته أن تتصل به تليفونيا عند عودة شارتييه

كان من الصعب عليه أن يصدق ان شارتييه اختفى من تلقاء نفسه، بعد ان وضع فى جيبه مبلغ العشرين الف فرنك الذى تسلمه من متعهد الاشغال الحكومية أوتى ، فقد سنحت له من قبل فرصا كثيرة للهرب بمبالغ أكبر من هذه بكثير ، ولم يقدم على ذلك

صحيح ان الموقف كان يزداد بمرور الايام سوءا وان أنف شارتييه كان حساسا لرائحة المتاعب ، وله خبرة وتجربة فى هذه الامور ، ولكن لعل من الارجح أن نفترض ان كمينا نصب له هناك بواسطة رجال البوليس وأنه وقع فى ذلك الكمين

www.ibtesamah.com/vb

وفى هذه الحالة · أليس من المعقول أن يكون هناك شخص متصل بالمجلة هو حلقة الاتصال بالبوليس ؟

هل هذا الشخص هو بوسو ؟ هل هو راؤول ؟ هل هو بيبيف نفسه ؟ ولماذا لا تكون فيفيان التى كان دائما يطلعها على كل مايحدث فى مجلة الكرباج ؟

ـ هل سأراك الليلة يا فرانسوا ؟

ـ ربما

ـ أريد أن أراك ولو برهة قصيرة فى أى مكان غير هذا

ـ سأكلمك بالتليفون بعد الساعة الخامسة ما لم أحضر مباشرة الى البيت

ـ اذا حدث انى خرجت سأترك لك رسالة

وضايقته هذه الكلمة الاخيرة · والله يعلم انها لم تستغل الحرية التى يتركها لها · ولكن كان يبدو له فظيعا أن تشغل نفسها فى يوم كهذا بشىء غير انتظاره · فلا شك انها تشعر بأن شيئا خطيرا جدا يجرى فى حياته ، حتى بوسو لاذ بالفرار

واذا كان شارتييه حقا قد ألقى القبض عليه · فماذا عساه فى هذه اللحظة أن يدلى به من الاسرار لرجال الامن العام ؟

ان شارتييه ليس فيه شىء من صفات البطولة فهو لقيط هرب من دار كفالة الايتام · ونشأ بمفرده نشأة شيطانية · يكافح ويغامر ويتعلم كل حيل الخروج على القانون والصراع فى سبيل اللقمة · ويحميه من الموت هذا الاستعداد الخاص الذى يجعل القطط تسقط دائما من ارتفاع شاهق فلا تصاب بسوء

وفى ذات يوم عندما كان شارتييه فى حجرة فرانسوا ، قال فرانسوا لأحد الزوار :

ـ اننا فى هذا المكتب قوم شرفاء يا سيدى · نعمل فى وضح النهار

وكان شارتييه واقفا وراء ظهر الرجل ، فغمز بعينه لفرانسوا غمزة ساخرة !

والحقيقة أن التمثيلية الصغيرة التى كان شارتييه يقوم دائما

www.ibtesamah.com/vb

بتمثيلها مع كل فريسة ، فى مصلحة فرانسوا ، فلا بد أن شارتييه قال لهذا المتعهد الحكومى ما قاله للآخرين من قبل ، من انه حضر لمقابلته بدافع من نفسه ، وان مخدومه صاحب المجلة لا يعلم شيئا عن زيارته ، الخ الخ ...

وليس فى يد الحكومة أى دليل على صحة عكس هذه الرواية وحتى فى حالة اقتناع المحكمة بوقوع جريمة من جرائم الصحافة . فان شارتييه هو الذى سيذهب الى السجن كما هو منصوص فى عقد الاتفاق باعتباره المحرر المسئول قانونيا عن هذا الباب : باب الفضائح

وشارتييه سبق له دخول السجن . ولكن ليس فى سبيل فرانسوا وكان ذلك منذ زمن طويل وقد اعترف بذلك فى فلتة من فلتات اللسان عندما كان يتحدث عن اللوبيا الجافة . وأكد لهم انه أكل من هذه اللوبيا ما يكفى للاجيال القادمة . ولم يذكر شيئا عن التفاصيل . ولكن لا شك انه كان يملك صحيفة سوابق حافلة عندما دعى لاداء الخدمة العسكرية . بدليل انهم أرسلوه الى الفيلق الافريقى ، وهذا الفيلق لا يلحق به الا العتاة من المجندين أصحاب السوابق ، وهو يذكر حياة الفيلق الافريقى كثيرا . ويغنى لاغاظة الآنسة برت كثيرا من الاناشيد البذيئة التى كان يترنم بها السكارى من رجال هذا الفيلق

ولم يحاول فرانسوا دعوة فيفيان لتوصيلها الى البيت . فقد كان البيت على بعد خطوتين . وترك سيارته أمام مطعم فوكيه ، ثم اخترق الشانزلزيه وصعد الى مكتبه

ـ هل حضر شارتييه ؟

وأجابته الآنسة برت :

ـ كلا ، ولكن بوسو كان هنا

وظهرت عليه علائم الاشراق لهذا الخبر لاول وهلة ، واسترد ثقته فورا ، ولكن ذلك لم يطل كثيرا

ـ وماذا قال ؟

ـ لم يقل شيئا

www.ibtesamah.com/vb

ـ لابد أنه حضر لسبب ما

ـ فعلا . ملأ حقيبته بأوراق ثم انصرف

وفتح فرانسوا أدراج المكتب فوجده قد أفرغهـــا من كل ما كان فيها . ولم يحاول أن يقفلها بالمفتاح . وكأى شـــخص يفارق حجرة فندق تاركا فيها المخلفات عديمة القيمة ، ترك بوسو غليونا مكسورا وكيسا عتيقا للطباق ، وأوراقا قذرة

وأدركت الآنسة برت الموقف ، ونظرت الى فرانسوا فى صمت ، فقال لها :

ـ وأخى ؟

ـ خرج للغذاء

ـ وحده ؟

ـ دعاه بوسو للغذاء معه ، وقد وعد السـيد راؤول أن يعود فى الساعة الثانية لكى يستقبل المشتركين فى التحرير فى موعـد دفع الاجور الاسبوعى . ولكن الساعة الآن جاوزت الثـــانية الا عشر دقائق

ـ تأخر فعلا

ـ لا بأس . فان حسابات هؤلاء السادة لم تتم بعد وسوف لايتمكن من الدفع لهم هذا العصر ، ولعل هذا أوفق على كل حال

فكيف أصيبوا جميعا بهذا الخذلان والقنوط فى مثل هـذا الزمن القصير ؟ ومن غير أن يلاحظوا ذلك ؟

ان كلمة الآنسة برت الاخيرة كانت دليـلا واضحا على أن أعراض اليأس أقوى من جميع الادلة الاخرى . ولهذا أجابها فى حدة :

ـ تستطيعين عمل الحساب لكل شخص منهم على حدة كلما نودى اسمه

فرفعت حاجبيها دهشة وسألته :

ـ هل معك نقود ؟

وعلى مضض أعطاها النقود ، وقال لها :

ـ خذى . هذا ان لم تفكرى أنت أيضا فى الرحيل

وفى هذه اللحظة وصل راؤول . وبذلك لم تعد الآنســـة برت

www.ibtesamah.com/vb

ضطرة للاجابة عن هذا السؤال

وسأل راؤول بغير أن يظهر فى صوته أقل اكتراث :

ـ وشارتييه ؟ أهو فى السجن ؟

ولا يدرى أحد لماذا استطرد :

ـ انى أتساءل هل سيتمكن صديقى بوب من قضاء الاجازة هذه السنة على شاطىء دوفيل أيضا ؟ وبهذه المناسبة · هل ستذهب هذا العصر الى حفلة اختتام السنة الدراسية ؟

وأسوأ ما فى الموضوع أن بوب لابد أن يكون هو الذى ذكر لعمه تلك المناسبة · وقد تعود راؤول فى المدة الاخيرة أن يذهب كثيرا الى شارع دى لامير · وغالبا عندما يكون فرانسوا غير موجود · وكان من السهل عليه أن يرتب مواعيد الزيارات · لانه كان يسمع أحاديث فرانسوا التليفونية مع فيفيان فى المكتب ويعرف متى سيذهب لزيارتها فى مسكنها بشارع برسبورج

ولم يكن بوب يشير بكلمة واحدة الى زيارات عمه · وكأن هناك مؤامرة على ذلك بينه وبين مدام جوديشون · ولكن لماذا لم يفاتح بوب والده بصراحة فى حضور حفل ختام السنة الدراسية ولجأ الى عمه ؟ هل هذا التفاهم بينه وبين عمه سببه رغبته فى عدم حرج شعور ذلك السكير بالنفور والتباعد ؟

وقطع أفكاره ليقول لراؤول :

ـ يجب أن تكون فى التافيرنا الملكية فى الساعة الخامسة

ـ وهو كذلك ، لماذا ؟

فأعطاه فرانسوا رسالة بيبيف · فتنهد لما قرأها وقال :

ـ سأكون هناك فى الموعد ، هل سندفع اليوم المرتبات ؟

ولمح النقود فى يد الآنسة برت ، فرفع حاجبيه وقال :

ـ سندفع اذن كالمعتاد ، وهو كذلك

وبعد لحظات ستبدأ عملية الصرف · وفرانسوا يشعر بالضيق لانه سيذهب الى فنش بالمترو تحت الارض · ولكن لا حيلة له فى ذلك ، فتعليمات بيبيف دقيقة ومحددة · وهو الوحيد الذى يعرف من عناصر الموقف ما لا يعرفون جميعا · ومشى فرانسوا مخترقا

www.ibtesamah.com/vb

الشانزلزيه ، وعند باب محل من أكبر محلات الازياء عرف سيارة رينيه وسائقها الذى اختارته فى المدة الاخيرة زنجيا من أبناء السنغال

وبدأ يفكر فى مارسيل تفكيرا مقرونا بالحسد • لانه فى أمان من الهموم ومن الهجوم • فان الملتوى متى وصل الى مرحلة معينة أصبح فوق مستوى القانون • وفرانسوا لم يتمكن من الوصـــول الى تلك المرحلة بعد

ولما وصل الى ميدان الكونكورد شعر برغبته القديمة تعاوده، الرغبة فى شرب الخمر التى كانت تستعبد الصعلوك المعدم فرانسوا لكوان منذ ثلاث سنوات • وهو يجوب حوارى باريس هائما على وجهه • وتساءل هل بعث فرانسوا القديم من قبره ؟ وهل حقا كان فرانسوا القديم الفقير شقيا كما كان يتصور أم أنه كان سعيدا بطمأنينـــة ضميره ، رغم ضعفه الذى جعله يبدد دراهمه القليلة فى الخمر ، تلك الدراهم التى كان يحصل عليها بالمذلة واراقة ماء الوجه ؟

لقد بدأ يحسد وهو فى يأسه وتخاذله جميع الفقراء • جعل يحسد فرانسوا القديم • بل وفتيـــات الهوى المتسكعات فى الطريق • لا فيفيان فقط ومثيلاتها • بل وأيضا تلك الفتاة التى كان يسميهـا الجاويش ومن اليها • وأخذ يحسد المتسولين المتشردين الذين لايأكلون شيئا مطبوخا الا يوم الاحد فى مطعم جيش الخلاص • وينامون طول الاسبوع فى العراء

وشرب عدة كئوس فى حانة صغيرة وهو يراجع الموقف • لم يعد معه سوى راؤول والآنسة برت • ولكن الآنسة برت متمسكة به لانه يدفع لها ضعف المرتب الذى تستحقه • وهى من الصنف الحريص على المال ، توفر لايام شيخوختها

ولا بد انهم الآن فى حكمدارية البوليس يستجوبون شارتييه لذا عزم فرانسوا بعد مقابلة بيبيف على الذهاب الى محاميه • وهو أيضـا يريد أن يرى ابنه عقب حفلة انتهاء السنة الدراسية وتوزيع الشهادات • وكذلك يجب أن يبر بوعده لفيفيان فيزورها فى شارع برسبورج

لقد حان الوقت لركوب المترو • وتأكد أولا من أن أحدا لا يتبعه • وغير المترو مرتين زيادة فى الاحتياط

www.ibtesamah.com/vb

وكان الذهاب الى حديقة حيوان فينسين سببا فى التفكير فى بوب. لانه كثيرا ما أخذه الى هناك ، وكان ثلاثتهم يذهبون يوم الاحد عندما كان بوب صغيرا يحمله على كتفه ليرى الوحوش فكانت جيرمين تقول :

ـ انه يستطيع المشى يا فرانسوا ، انزله حتى لا يتعبك !

بل انه يتذكر كيف ذهب هو شخصيا وهو طفل مع والده وكيف حمله أبوه على كتفه ، ترى هل تساءل أبوه يومئذ أى مصير سينتهى اليه ابنه هذا ؟ وأى حظ سيكون له فى الحياة ؟

ومشى فرانسوا فى ممرات الحديقة . الى أن لمسه على كتفه شخص فقفز منزعجا ، وكان هذا الشخص هو بيبيبيف

ـ لى نصف ساعة وأنا أتبعك يا زعيمى . كنت أريد أن أتأكد انك غير مراقب . ان الموقف سيء جدا ، وأرى أن اللحظة مناسبة كى تسافر الى بلجيكا . وربما لحقت بك هناك

ـ وشارتييه ؟ ماذا عنه ؟

ـ هو الآن فى ادارة الامن العام منذ العاشرة صباحا . وقد أحضروا له طعام غداء فاخر . وسيتخذون منه شاهد ملك ضدك ، هذا هو ما فى بيتهم

وفجأة خطر فى ذهن فرانسوا حل للموقف فى منتهى الجمال ، فأسبل عينيه حتى لا يقرأ بيبيبيف أفكاره

انه سيذهب الى ادارة الامن العام كما ذهب زميل له من قبل كان يطبع وينشر مجلة فضائح من هذا القبيل . فعقدوا معه اتفاقا . واستمرت مجلته فى الظهور . ولكنهم يراجعون العدد قبل صدوره . ويمنعون نشر ما يريدونه من المواد وديا . وفى مقابل ذلك يمدونه بأخبار من يريدون مضايقتهم أو هدمهم . ويتسلم من المصاريف السرية فى أول كل شهر مبلغا ثابتا . ويسمحون له بابتزاز أموال من ليست لهم قيمة سياسية ، متجاهلين كل شيء

ولا شك ان ادارة الامن العام قد أدركت انه شخص يمكن الاعتماد عليه ويحسب له حساب . ومجلته أثارت فضائح سياسية ومالية كثيرة فى شئون البلدية وغيرها ترتبت عليها تحقيقات برلمانية ، فهو ليس هلفوتا

www.ibtesamah.com/vb

واستطرد بيبيبيف يقنعه بفكرته :

ـ سأكون سعيدا جدا أن أراك ترحل الى بلجيكا الى أن تهدأ الاحوال فترجع • ومن حسن الحظ ان الحدود مفتوحة ولا حاجة بك الى جواز سفر • ويجب أن تأخـذ معك كل ما تستطيع من النقود • ولك أن تأخذ معك أسرتك لانك لا تدرى متى تستطيع العودة • سافر هـذه الليلة • بأى شكل من الاشكال

www.ibtesamah.com/vb

الوداع الاخير

لقد ضايقه أنه أطاع تعليمات بيبيف ولم يحضر بسيارته بل تركها أمام مطعم فوكيه . فهو لم يركب المترو منذ مدة طويلة . وركوبه هذا العصر ضاق له صدره . فالهواء هناك مكتوم رطب . والضوء باهت . والاصوات لها رنين . ومع هذا فلا حيلة له فى الركوب

ومرت الرحلة القصيرة كأنها كابوس الى أن وصل الى كنيسة المادلين ووجد ان الساعة تجاوزت الخامسة بثلاث دقائق . ودخل الى التافيرنا الملكية يبحث عن أخيه راؤول . وكان يعلم أين يجلس راؤول دائما . فلم يجده . فجلس ينتظر . ثم قام الى التليفون . وطلب مكتبه . فسمع الجرس يرن ثم رفعت السماعة ولم يسمع صوت الآنسة برت كما هو مفروض ، فقال بادئا :

ـ ألو !

وأجابه صوت رجل ليس راؤول :

ـ ألو !

ـ ٣٤ ـ ٧٧ أليزيه ؟

ـ نعم

ـ من المتكلم ؟

فساد الصمت ، وسمع تهامسا ، ثم أجابه صوت آخر :

ـ من أنت ؟

فوضع فرانسوا السماعة وغادر قمرة التليفون ثم الحانة بأكملها . وسرعان ما ندم على ذلك لان حلقه كان جافا وبه حاجة شديدة لكأس من الشراب

وسرعان ما دخل حانة أخرى . وهو يتساءل هل راؤول ما زال فى المكتب ؟ هل قبضوا عليه هناك قبل أن ينزل الى التافيرنا كسابق الاتفاق ؟

www.ibtesamah.com/vb

ان العادة جرت فى أيام دفع المرتبـــات أن يرد أحد العملاء على التليفون بدلا من الآنسة برت لانشغالها فى الحسابات · ولكن لماذا التهامس والتحفظ ؟ ولماذا اختلف الصوتان ؟

ودخل قمرة التليفون فى البار الثانى وطلب مكتبـه مرة أخرى · ورفعت السماعة فى الطرف الآخر · ولكن فرانسوا لزم الصمت · الى أن سمع الصوت يجيبه :

ـ ألو ! هنا الكرباج

وكان الارتباك ظاهرا فى طريقة الكلام ، فوضـع السماعة وبادر بمغادرة الحانة لانه لم يكن متأكدا من استحالة تحديد أماكن الاتصال التليفونى بواسطة الرقابة · فيتعرض لحضورهم للقبض عليه حيث يكون · وأخذ يمشى بسرعة على الرصيف الضيق مخترقا الزحام

لا شك انهم مرابطون فى انتظاره فى المكتب ، واذا كان رأول موجودا هناك فربما لم يقبضوا عليه · لانه مجـرد موظف · وربما أيضا يكونوا قد أبعدوا الآنسة برت لانها موظفة · كم يتمنى الآن لو كان فى بيتها تليفون !

ان شارتييه اعترف ، وفرانسوا كان يتوقع منه هذا ، فليس لدى فرانسوا أى سبب للمقاومة أو التضحية · كم تبدو له الشـــوارع طويلة ! فهو لم تزل لديه فرصة للذهاب الى ادارة الامن العام بمحض اختياره للتفاهم ؟ أم سيسخرون منه ويلقون القبض عليه ؟

ان مصيبته الكبرى انه فى أعماق نفسه ساذج · لا يأخذه أحـد مأخذ الجد · وهو الآن لا يملك نقدا فى جيبه الا خمسة آلاف فرنك وسيارته ؟ انها أمام مطعم فوكيه · ولكنه لا يضمن السلامة اذا ذهب ليأخـــذها ويسافر بها الى بلجيكا · فمن المحتمل انهم يكمنون له بقربها · وكل حى الشانزلزيه يبعث فى نفسه الفزع

ومرة أخرى فكر فى شرب كأس · فدخل حانة منزوية وطلب شارع دى لامير فى التليفون

ـ أهذه أنت يا مدام جوديشون ؟ أنا السيد لكوان

ـ أعرف هذا

ـ كيف حال كل شىء ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ على ما يرام . لماذا ؟

ـ وبوب ؟

ـ عاد من المدرسة ودخل حجرته وأقفل الباب منذ مدة طويلة . أظنه نائما . هل أناديه ؟

ـ كلا

ـ على فكرة حضر رجلان منذ برهة وسألا عنك

ـ ماذا قالا ؟

ـ لا شيء ، لا أعلم ، بوب هو الذى قابلهما لانى كنت فى المطبخ ، ولم يكن قد نام بعد

ـ هل انصرفا ؟

ـ هل كنت تظنهما سيقضيان النهار عندنا ؟

ـ ولكن ألم يخبرك بوب ماذا كانا يريدان ؟

ـ كلا ، ولكنه قد يخبرك فيما بعد

ـ وكيف حاله ؟

ـ متعب قليلا . هل ستأتى للعشاء ؟

ـ ربما ، لست متأكدا

هذان الرجلان اللذان حضرا الى شارع دى لامير . هل هما اللذان ذهبا بعد ذلك الى شارع الشانزلزيه . ترى ماذا قالا لبوب ؟ ألا يراعى هؤلاء الناس اللياقة مع الاطفال ؟

وبدأ يسير على قدميه على غير هدى ليبتعد عن الموضع الذى تكلم منه بالتليفون

انهم قد أقاموا السدود وأقفلوا فى وجهه الشانزلزيه وشارع دى لامير . فيجب أن يبحث عن حل . ولكن يجب أن يعرف أولا الموقف بالضبط . ودخل بارا ثالثا . وهناك طلب شارع برسبورج وهو يتساءل هل سيرد عليه هذه المرة رجل بدلا من فيفيان ؟

ولكنه سمع صوتها تجيبه :

ـ أين أنت يا فرانسوا ؟ كلا لا تخبرنى . كن على حذر ، أخبرنى فقط هل أنت فى باريس ؟

ـ نعم

www.ibtesamah.com/vb

ـ لقد حضرا منذ ساعة

ـ اثنان ؟

ـ نعم اثنان ، لا أعرفهما • حاولا أن يعرفا منى مكانك ، أينومتى سأقابلك ، هل أنت وحدك ؟

ـ نعم وحدى

والحقيقة انه لم يشعر فى حياته كلها أنه وحده كلية كما هو الآن!

ـ وهل فتشا المسكن ؟

ـ نعم ، ولكن من غير اتلاف

ـ وهل كانا مهذبين معك ؟

ـ ليس تماما • ولكن لا أهمية لذلك • ابتعد عن المكتب • لقد اتصلت بك هناك كى أحذرك • فرد على رجل

ـ أعلم هذا

ـ وأظننى عرفت فيه صوت أحد الرجلين اللذين حضرا الى هنا ـ ماذا سيفعلان بك ؟ لا تقل شيئا • فما أغبانى • ستجد مخرجا ولا شك • وستجد وسيلة لتبلغنى أخبارك عندما تصل الى موضع أمين وثق يا فرانسوا انى أريد أن أساعدك

ـ شكرا

ـ ظللت أنظر من النافذة لأعرف هل تركا جاسوسا فى الشارع أم لا • ولكنى لم أستطع الا أن أرى جزءا من الرصيف ولم أشأ أن أنزل لانى كنت أتوقع رنين التليفون • فان طلبتنى بعد قليـــل أكون قد تأكدت

ـ وهو كذلك ، وداعا

ترى هل سيكون هذا آخر عهده بها ؟ انه لن يتمكن من أخذها معه الى بلجيكا فقد قرر فجأة أن يهرب الى هناك • لانه شعر ان وقت التفاهم مع ادارة الامن العام قد انقضى

انه سيأخذ معه بوب فقط • وفى هذه الحالة لابد له من مبلغ كبير من المال ليعيش ، وتذكر مناقشته مع فيفيان ظهراً عن الفقر ، وتذكر ان جوابه كجوابها كان كلا بالخط العريض

ومن يدرى ربما كانت هـذه فرصة هيأها له القدر كى يغير حياته

www.ibtesamah.com/vb

الراهنة . ويعيش مع ابنه حياة نظيفة جـديدة فى بلد آخر وبيئة جديدة

وفكر فى رينيه . انها فى هذا الظرف لا يمكن أن تضن عليه لان المسألة مسألة حياة أو موت . والقبض عليه سيصيب اسم مارسيل بوصمة تنتج عنها عاهة سياسية واجتماعية تعوق مستقبله ومارسيل رجل طموح

ودخل حانة وطلب رقم بيت مارسيل وهو مضطرب

وسمع صوتا أشبه بصوت التسجيل الآلى يقول :

ــ قسم المشتركين الغائبين . السيد والسيدة لكوان خارج باريس لغاية ١٥ سبتمبر

وشعر بالعرق يتصبب منه ويبلل ظهره كله . فهذا جدار ثالث أو رابع قام فى وجهه ليسد عليه منافذ السبل

لعل من الخطأ أن ينتظر قطار المساء ليسافر الى بلجيكا . فهنـاك طائرة تسـافر كل ساعة الى بروكسل . وفى جيبه ما يكفى لأجر السفر . وهناك أيضا ساعته الذهبية ودبوس ربطة العنق الماسى

ودخل بارا وطلب فيفيان :

ــ هل معك نقود يا فيفيان ؟

فأجابته بسؤال فى لهجة فاترة :

ــ أأنت فى حاجة الى نقود ؟

ــ كلا . كنت فقط أريد أن أطمئن عليك فى غيابى

وشعر أن حائطا خامسا قام فى وجهه . لم يعد أمامه الا أن يحاول أخذ بوب معه مهما كانت المجازفة . ويركبان الطيارة معا . ولكن يجب أن يتأكد انهم لن يقبضوا عليه عند البيت ، وكيف ذلك ؟

انه اذا دخل السجن قد يتولى راؤول رعاية بوب . وهو يخشى على الطفل من راؤول . أو يغار عليه . انه لا يريد أن يعيـش بوب مع راؤول . ولهذا يجب ألا يدخل السجن

ومر فى طريقه على نهر السين . فخطر له ماذا ينتظر منـه بعض الناس فى هذا الموقف أن يفعل ومن هؤلاء النـاس مارسيل . وفى هذه الحالة لابد له أن ينتظر هبوط المساء . وفى هذا الوقت لابد أن

www.ibtesamah.com/vb

يتشجع بتناول الكلفادوس

أجل ان الانتحار هو أسهل مخرج بقى له

وأخذ يشرب ، وكلما شرب كاسا عادت اليه نفسيته القديمة . نفسية فرانسوا الفقير الذليل الذى يقبل فى سبيل الحياة أى وضع. ووجد صوتا من أعماقه ينـاديه : « نعم ، نعم » وهكذا اختفت « لا بالحظ العريض » التى قالها ظهرا فى مطعم فوكيه مع فيفيان

ونهض يتمشى فى الأزقة والشوارع ، مستعدا لاحتمال الفقـر والمذلة وأى شىء فى سبيل نسمة الحياة ، يريد أن يعيش فقيرا فى بروكسل أو فى أى مكان من الدنيا. يبيع الجرائد أو يتسول أو يجمع القمامة أو يمسح الاحذية

لماذا لا يوفر الوقت ويستأجر سيارة أجرة ويذهب الى شارع دى لامير ليأخذ ابنه ، سيناديه من الشارع ، ويقول له :

ـ نحن ذاهبان فى رحلة بمناسبة الاجازة يا صغيرى !

ثم يقول للسائق :

ـ الى محطة الشمال فورا ، أو محطة أورلى ، أو حتى الى حـدود بلجيكا . ليس لهذا أهمية

ومع ذلك لم يناد التـاكسى . ومن العجيب انه ارتد فى لحظة الى عقلية الرجل الفقير فعلا ، وهو الذى يملك سيارة جديدة فاخـرة كابروليه . واقفة أمام مطعم فوكيه . وظل يضرب فى الطـرقات . ورأسه يسبح فى الخيالات . ومعدته ثائرة من الخوف والقلق

ووصل أخيرا ، ولكنه وصل متأخرا

والجمهور الذى كان مزدحما حول البيت أخفى عن عينيه سـيارة الاسعاف ورجال البوليس ، ولكنه عندما رأى الزحام أسرع يجرى من غير شعور ، ثم عندما سمع باب السيارة يقفل بقوة صرخ :

ـ هيه ! انتظر انتظر !

فالتفت الناس يتطلعون اليه ، ولكن نقالة الاسـعاف كانت قد مرقت فى طريقها ودارت فعلا فى شارع السرور

نظر الجميع اليه ، ونظر فيهم محملقا متسائلا :

ـ من ؟

www.ibtesamah.com/vb

وفجأة رأى وجها قريبا منه جدا وعليه غبرة الموت • وكانت مدام جوديشون هى التى تصرخ فى وجهه بحقد

ـ ألا تعرفنى ؟

بلى • كان يعرف • فهم كل شىء • ولكنه ظل يحملق فيهم •وكان منظره أليما موجعا للقلوب فى ارتياعهفغض الناسأبصارهم وابتعدوا عن طريقه

ولكنه لم يتحرك ، ولم يبك ، بل قال

ـ هل ••• هل ؟•••

وبلع ريقه • واستطاع أخيرا أن يقول بصوت لم يسمع من قبل

ـ هل مات ؟

ولم يجبه مجيب • فبعد برهة طويلة من الصمت • رفعت مدام جوديشون عينيها الى السماء وصرخت

ـ وجدته مشنوقا فى حجرته ، لهـــذا كان السكون مخيما حتى حسبته نائما

وأخذها الجيران من يدها وابتعدوا بها • وهى تقـــاومهم وتلوح بقبضتها فى وجهه متوعدة • وتركه الناس واقفا وحده • وأسرعت البوابة مدام بوساك تقفل بابها حتى لا ترى سحنته وهو يصـــعد السلم • انه انسان ملعون حتى انوحيده الطفل ضاق بحياته فانتحر

وعلى المائدة وجد ورقة بيضاء • عليها اسم مدرسة استانسلاس كانت موجهة اليه

ـ سيدى • يؤسفنا لاسباب لا نســـتطيع أن نصرح بها الا لكم شخصيا اننا قررنا استبعاد اسم نجلكم من قائمة الطلبة فى العـــام القادم

وسمع رنين التليفون • فلم يأبه له وتطلع من النافذة الى ســـاعة باشون الكبيرة • ولكن الساعة البلهاء لم تكلف نفسها هذه المرة عناء الوقوف كما وقفت قبلا من أجل جيرمين

وأخيرا رفع السماعة وسمع صوت راؤول

ـ أهذا أنت يا بوب ؟

فوضع السماعة ولم يجب • ثم أخذ يهبط السلم • وقد استولى

www.ibtesamah.com/vb

عليه هدوء تام • واتجه فى عكس اتجاه المستشفى الذى حملوا اليه ابنه

وأخذ يسير فى بطء شديد الى شارع مون برناس • ثم الى شارع راسباى • لا يكلف نفسه أن ينظر خلفه • بل لم ينظر ورآءه عندما سمع صوتا يهتف من خلفه :

ـ فرانسوا !

وكان القادم راؤول ، ولعله ذهب الى شارع دى لامير وعرف كل شىء

ـ الى أين أنت ذاهب ؟

ـ وأنت ؟

ـ لقد سمعت الآن ...

ولم يستطع راؤول أن يتم كلامه لان بدنه الضخم كله أخذ يرتعد بنشيج البكاء

ـ فرانسوا ، قف ، يجب أن تصغى

ـ كلا

ـ اسمع ، لا ذنب لك ، أنت غير مسئول اطلاقا

ولم يكن راؤول يدرى أن موضوع نهر السين تلاشى من ذهن فرانسوا منذ وقت بعيد

ـ خبرنى على الاقل أين أنت ذاهب ؟

ـ الى شارع أوليفيفر • هناك ادارة الامن العام • حيث ينتظرونني

وغض راؤول بصره وقال :

ـ آه

ثم فى خجل :

ـ أتريد منى أن آتى معك ؟

ـ بل أذهب وحدى • أما أنت فاذهب الى المستشفى ، وسأطلب منهم أن يأخذونى الليلة الى هناك لاودعه الوداع الاخير ، فانى أريد أن يرانى وفى يدى الاغلال • وحولى الحراس • عسى أن يعلم أن كل شىء قد انتهى أخيرا

وصمت راؤول قليلا ، ثم سأله :

www.ibtesamah.com/vb

ـ نعم ، ليته يعلم . ألا تنوى أن تستقل سيارة ؟

ـ كلا ، فان من يحمل صليبه لا بد أن يقطع المسافة سـيراً على قدميه ، وحافيا لو انه استطاع

ولاحقته نظرات أخيه وهو يمضى نحو مصيره ، بخطوات بطيئة ، ولكنه كان ساكنا ، هادئا ، فقد وجد طريقه أخيرا

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

www.ibtesamah.com/vb

سلسلة روايات الهلال

مجلة قصصية شهرية تصدر عن دار الهلال

بدأت حياتها فى يناير سنة ١٩٤٩ باصدار الروايات الخالدة التى وضعها المرحوم جرجى زيدان عن تاريخ الاسلام ولقيت فى عهده انتشاراً كبيراً . . .

ثم واصلت جهودها فى خدمة الأدب القصصى الرفيع بتقديم منتخبات من روائع القصص العالمى . . .

فهل تنقص مجموعتك احدى هذه الروايات ؟ . . .

روايات تاريخ الاسلام لجرجى زيدان

١ ـ فتح الاندلس (نفدت)
وصف اسبانيا وفتح العرب لها

٢ ـ صلاح الدين ومكايد الحشاشين (نفدت)
قصة قيام الدولة الايوبية وحياة مؤسسها

٣ ـ شجرة الدر (نفدت)
قصة مبايعة أول ملكة فى الاسلام بمصر

٤ ـ ارمانوسة المصرية (نفدت)
قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص

٥ ـ عذراء قريش (نفدت)
قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان

٦ ـ ١٧ رمضان (نفدت)
قصة مقتل الامام على وفتنة الخوارج

٧ ـ غادة كربلاء (نفدت)
قصة مقتل الامام الحسين وآل البيت

٨ ـ الحجاج بن يوسف (نفدت)
قصة مقتل عبدالله بن الزبير بعد حصار مكة

٩ ـ شارل وعبد الرحمن (نفدت)
قصة فتوحات العرب فى فرنسا

١٠ ـ ابو مسلم الخراساني (نفدت)
قصة قيام الدولة العباسية فى بغداد

١١ ـ العباسة اخت الرشيد (نفدت)
قصة نكبة البرامكة فى عهد الرشيد

١٢ ـ الامين والمأمون (نفدت)
قصة انتقال الخلافة من الامين لاخيه المأمون

www.ibtesamah.com/vb

١٣ ـ عروس فرغانة (نفدت)
قصة الدولة العباسية فى عهد المعتصم

١٤ ـ احمد بن طولون (نفدت)
قصة استقلال مصر فى عهد أحمد بن طولون

١٥ ـ عبد الرحمن الناصر (نفدت)
قصة العصر الذهبى للعرب فى الاندلس

١٦ ـ فتاة القيروان (نفدت)
قصة فتح الفاطميين لمصر على يد القائد جوهر

١٧ و ١٨ ـ فتاة غسان « جزءان »
(الجزء الاول نفد)
قصة ظهور الاسلام وفتوحاته الاولى

١٩ ـ الانقلاب العثمانى
وصف حالة تركيا فى عهد عبد الحميد

٢٠ ـ اسير المتمهدى
قصة ثورة عرابى بمصر والمهدى بالسودان

٢١ ـ استيلاء المماليك (نفدت)
قصة الحرب بين روسيا وتركيا

٢٢ ـ المملوك الشارد (نفدت)
وصف مصر وسوريا فى القرن الماضى

٢٣ ـ جهاد المحبين (نفدت)
قصة انتصار الحب الصادق برغم كل العقبات

... ومن روائع القصص

٢٤ ـ غرام نابليون فى مصر (نفدت)
تأليف روجيه رجيس

٢٥ ـ غرام عطيل
تأليف اميل لودفيج

٢٦ ـ رسول القيصر
تأليف جول فيرن

٢٧ ـ غادة طيبة
تأليف أجاثا كريستى

٢٨ ـ روميو وجولييت
تأليف بول ريبو

٢٩ ـ غادة الكاميليا
تأليف مرسيل موريت

٣٠ ـ انا كارنينا
تأليف ليو تولستوى

٣١ ـ الزنبقة السوداء
تأليف اسكندر دوماس الاب

٣٢ ـ اخلال الحب
تأليف سومرست موم

٣٣ ـ قلوب تحترق
تأليف ستيفان زفايج

٣٤ ـ ملاك الرعب
تأليف ادجار والاس

٣٥ ـ ذات الرداء الابيض (نفدت)
تأليف ويلكى كولنز

www.ibtesamah.com/vb

٣٦ ـ الكونت دى مونت كريستو
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٣٧ ـ البعث
تاليف ليو تولستوى

٣٨ ـ محمد على الكبير
تاليف لويزا مولباخ

٣٩و٤٠ ـ ذو القناع الحديدى (جزءان)
(الجزء الاول نفد)
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٤١ ـ ابنة البخيل
تاليف أونوريه دى بلزاك

٤٢ ـ مأساة مايرلنج
تاليف بول ريبو

٤٣ ـ الارض الطيبة
تاليف بيرل بك

٤٤ ـ غراميات راسبوتين
تاليف شارل بنى

٤٥ ـ جريمة فى الريف
تاليف أجاثا كريستى

٤٦ ـ مارى انطوانيت
تاليف ستيفان زفايج

٤٧ ـ الفارس الخامس
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٤٨ ـ الاب الخالد
تاليف أونوريه دى بلزاك

٤٩ ـ مغامرات مستر بيكويك
تاليف شارلز ديكنز

٥٠ ـ كاتالينا
تاليف سومرست موم

٥١ و ٥٢ ـ الفرسان الثلاثة « جزءان»
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٥٣ ـ زهرة الحب
تاليف أونوريه دى بلزاك

٥٤ ـ الشقراء البريئة
تاليف ايرل ستانلى جاردنر

٥٥ ـ شعب وطاغية
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٥٦ ـ الغانية اللعوب
تاليف ايفان تورجنيف

٥٧ ـ صراع الحب
تاليف فيدور دستويفسكى

٥٨ ـ فى مهب الريح
تاليف لين يوتنج

٥٩ ـ اوليفر تويست
تاليف شارلز ديكنز

٦٠ ـ الثورة الحمراء
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٦١ ـ جريمة فى وادى النيل
تاليف أجاثا كريستى

٦٢ ـ قلبان فى عاصفة
تاليف رفائيل سباتينى

www.ibtesamah.com/vb

٦٣ ـ احدب نوتردام
تاليف فيكتور هيجو

٦٤ ـ الشبح الرهيب
تأليف أجاثا كريستى

٦٥ ـ الحب فى العذاب
تأليف أبيه بريفو

٦٦ ـ العاشق الفارس
تأليف اسكندر دوماس الكبير

٦٧ ـ البنفسجة الحسناء
تأليف اسكندر دوماس الكبير

٦٨ ـ العاشقة العذراء
تأليف ايفان تورجنيف

٦٩ ـ دافيد كوبرفيلد
تأليف شارلز ديكنز

٧٠ ـ عاصفة وقلب
تأليف فيكتور هيجو

٧١ ـ ذات الشعر الذهبى
تأليف سومرست موم

٧٢ ـ الوحش الرهيب
تأليف ادجار والاس

٧٣ ـ العاشق المجنون
تأليف أميل زولا

٧٤ ـ جوهرة القمر
تأليف ويلكى كولنز

٧٥ ـ السجين الهارب
تأليف ادجار والاس

٧٦ ـ غانية باريس
تأليف اميل زولا

٧٧ ـ جنون الحب
تأليف سومرست موم

٧٨ ـ الخيط الدموى
تأليف كونان دويل

٧٩ ـ صراع بين الاجيال
تأليف ايفان تورجنيف

٨٠ ـ الكلب الجهنمى
تأليف كونان دويل

٨١ ـ المرابية العجوز
تأليف فيدور دستويفسكى

٨٢ ـ قلب محطم
تأليف جى دى موباسان

٨٣ ـ الافق الضائع
تأليف جيمس هيلتون

٨٤ ـ مرتفعات ويذرنج
تأليف أميلى برونتى

٨٥ ـ مغامرات شرلوك هولز
تأليف كونان دويل

٨٦ ـ الزوج الخالد
تأليف فيدور دستويفسكى

www.ibtesamah.com/vb

٨٧ ـ الارض العذراء
تأليف ايفان تورجنيف

٨٨ ـ رجال الله
تأليف بيرل بك

٨٩ ـ مذكرات شرلوك هولز
تأليف كونان دويل

٩٠ ـ قلب المرأة
تأليف سومرست موم

٩١ ـ امراة فى الثلاثين
تأليف أونوريه دى بلزاك

٩٢ ـ الكنز المفقود
تأليف كونان دويل

٩٣ ـ ابن مصر
تأليف جيمس بسبى الصغير

٩٤ ـ اعلان عن جريمة
تأليف أجاثا كريستى

٩٥ ـ الحب العظيم
تأليف ايفان تورجنيف

٩٦ ـ الكاس الاخيرة
تأليف أجاثا كريستى

٩٧ ـ وادى الرعب
تأليف كونان دويل

٩٨ ـ بنت مصر
تأليف مارجرى لورنس

٩٩ ـ ابنة القائد
تأليف اسكندر بوشكين

١٠٠ ـ الحرب والسلام
تأليف ليو تولستوى

١٠١ ـ عنترة بن شداد « الجزء الاول »
تأليف يوسف بن اسماعيل

١٠٢ ـ نهاية غرام
تأليف جراهام جرين

١٠٣ ـ عنترة بن شداد « الجزء الثانى»
تأليف يوسف بن اسماعيل

١٠٤ ـ خاتم سليمان
تأليف أونوريه دى بلزاك

١٠٥ ـ عنترة بن شداد «الجزء الثالث»
تأليف يوسف بن اسماعيل

١٠٦ ـ الجوهرة الخضراء
تأليف ادجار والاس

١٠٧ ـ خفايا باريس
تأليف سومرت موم

١٠٨ ـ الرجل الثالث
تأليف جراهام جرين

١٠٩ ـ مغامرة فوق القمر
تأليف هربرت ج . ويلز

١١٠ ـ عدالة السماء
تأليف أجاثا كريستى

www.ibtesamah.com/vb

١١١ ـ غراميات اهل الفن
تأليف برنارد شو

١١٢ ـ جريمة على الشاطىء
تأليف جراهام جرين

١١٣ ـ اميرة الريف
تأليف ادجار رايس بوروز

١١٤ ـ المليون الضائع
تأليف ادجار والاس

١١٥ ـ قلب الغانية
تأليف سومرست موم

١١٦ ـ ملك المزيفين
تأليف ادجار والاس

١١٧ ـ فتش عن المرأة
تأليف اجاثا كريستي

١١٨ ـ جزيرة الاحلام
تأليف سومرست موم

١١٩ ـ العالم المفقود
تأليف كونان دويل

ويمكنك الحصول على ماينقص مجموعتك من هذه الروايات من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبي دانيال بالاسكندرية ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية شارع المتنبي ببغداذ ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكي ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد علي نظام ببناية العابد بدمشق

الأسعار

ثمن النسخة الواحدة ابتداء من العدد الأول الى ٢٩ (٦٠ مليما)
ومن ٣٠ الى ١٠٠ (٧٠ مليما)
وابتداء من ١٠١ (٨٠ مليما)
وتضاف مصاريف البريد المسجل

www.ibtesamah.com/vb

تحفة روايات الهلال القادمة :

الثعبان الطائر

قصة بوليسية من روائع القصص البوليسى

تأليف الروائى البوليسى

ادجار والاس

*

تصدر فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٩

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر يونيو ٢٠١٨

اشترك فى روايات الهلال

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبـــوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملـكى المتفـرع من شارع بيكه فى بيروت صـــــندوق بريد ١٠١٢

العـــراق : السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ـ بغداد

اللاذقيـــــة : السيد نخله سكاف

جـــــــده : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحـــــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد . مكتبة المؤيد

البـــــرازيل : Dr. Michel H. Thome, Pateo Do Colegio, N° 3, 3 Andar, Sala 9, Sao Paolo, Brasil.

غانـــــا : Mr. Joseph Hassam,
The Cine Travel Co,
P.O.Box 1883,
ACCRA, GHANA

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر يونيو 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

www.ibtesamah.com/vb

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

** معرفتي **

المؤلف

* جورج سيمنون كاتب بلجيكي المولد ، فرنسي اللسان والقلم ، أمريكي المهجر، عالمي الوطن ، نالت رواياته شهرة عالمية

* يكتب الرواية البوليسية كأروع ما كتبها المتخصصون . ويكتب الرواية الوجدانية الواقعية كأنك تعيش مع أشخاصها في صدق

* من أعظم رواياته العالمية التي رشح من أجلها لنيل جائزة نوبل العالمية الثلج الاسود ، فتاة في ماضيه، سآخذ هذه المرأة ،وأغلال الخطيئة

هذه الرواية

رواية أغلال الخطيئة « Four days in a Lifetime » التي تقدمها سلسلة ((روايات الهلال)) اليوم تعد في رأي كثير من النقاد العالميين من أروع ماكتب الكاتب البلجيكي جورج سيمنون وتعد هذه الرواية مثلا صادقا لأسلوب مؤلفها الذي يمتاز بالبساطة والواقعية والتحليل الدقيق

وتجري حوادث هذه الرواية في أحد أحياء باريس ، وبطلها شاب أصابه النحس منذ مولده ، ولكن الحظ يبتسم له فجاة ، فيتحول البطل الى مارد جبار يتاجر في الفضائح ويخشاه الجميع

وتمتاز هذه الرواية بعمق الانفعالات النفسية ، والتصوير الصادق للصراع النفسي بين الخير والشر ، انها تكشف الطبيعة البشرية عارية أمام القارىء . فبطل هذه الرواية الذي نشأ في بيئة متدينة خيره ، ينقلب بين يوم وليلة الى وحش آدمي، يضحي بجميع القيم الانسانية في سبيل المال الذي حرم منه ... فهل ترضى نفسه بذلك ؟ وهل يتغلب الشر على الخير ؟ وهل يفيد الطريق الملتوي في الحياة ؟ هذا ما ستعرفه حين تقرأ هذه الرواية الشائقة

ويسر سلسلة روايات الهلال أن تقدم هذه الرواية الرائعة لهذا الكاتب لأول مرة ... انها تحفة رائعة ، اذا بدأت في قراءتها فان تتركها من يدك قبل أن تتمها !

أغلال الخطيئة

www.IbtesamahCom/vb

www.ibtesamah.com/vb